بينات

من الهدى والفرقان

دورية - فكرية - ثقافية - مستقلة (السعر ١٠٠ ريال) العدد(٣)

قال تعالى:(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ () قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)

صدق الله العظيم

(كنا إذا اشتد البأس (أو حمي الوطيس) لذنا برسول الله صلى الله عليه وآله)

الإمام علي عليه السلام

قال تعالى:(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)

صدق الله العظيم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي)

بينات
من الهدى والفرقان

دورية - فكرية - ثقافية - مستقلة
(السعر ١٠٠ ريال) العدد(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ الإفتتاحية

٣ يوم مولد النبي يوم العلم

٤ لئن شكرتم لأزيدنكم

٥ هل نستطيع الاستفادة من الفيلم المسيء؟

٦ سيرة عطرة

٧ حسان الخواطر في ميلاد النبي الطاهر/شعر

٨ من مكارم الأخلاق المحمديّة

٩ المولد الأعظم

١٠ حجية السنة النبوية

١٤ حضور محمد

١٦ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

٢٠ الجمال النبوي

هيئة التحرير
خالد الشريف
حمود عبدالله الأهنومي
عبدالله علي احمد النعمي
محمد ماجد الحوثي

مراجعة
محمد عبده عامر
محمد عبد الله الأهنومي

الإخراج و الإشراف الفني
إبراهيم ناصر الأهنومي

شارك في الإخراج
صدام حسين المحبشي

شكر خاص لـ :
طلائع المجد للتغيير

التواصل والمشاركة عبر الإيميل التالي:
bbainaat@gmail.com

الإفتتاحية

مولد القائد مولد للأمة

في ذكرى مولد سيد العالمين ورسـول رب الخلائق أجمعين نتذكره باعتباره الرحمة المهداة والنعمة المسداة من الله الرحيم إلى هذه البشرية التي كانت تتيه في ظلمات الجاهلية المشتقة من الجهل بالله وبشرائع دينه، وتتخبط في أوحال الوثنية، وتقتل بعضها لأتفه الأسباب، وتفخر بشرب الخمور، وقتل النفس المحرمة، وكانت تأكل الميتة، ويعتدي القوي منها على الضعيف، فاستطاع بقوة إيمانه وببصيرته النافذة وجهاده القويم الواعي أن يخرجها - وهي التائهة القلقة الحائرة المتزلزلة الخابطة في الفتنة - إلى حيز الوجود في ظهراني التوحيد لله رب العالمين، وفي وجهة التوجه إليه واتخاذ شرائعه ووحيه ودينه مصدرا للسعادة والخير والرحمة ومنهجا للعمل على مقتضاه.

في غضون أعوام قليلة غيّر رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم مجرى تاريخ البشرية بشكل لا مثيل له في تاريخ الإنسانية، وأعاد الأمة الضائعة في أوهام الجهل، وخرافات الكفر إلى الوحي الإلهي، أخرج منها أمة متحابة مترابطة تدعو إلى دين الله بعد أن كانت تدين بأوثان ربما جاعت فأكلتها، وتجاهد تحت لوائه بعد أن أفنت بعضها قتلا ودمارا، لقد أمّدها بتسديد من ربه بمقومات البقاء والإستمرار والتطور والنماء والقوة والمنعة، ووصل إلى تلك الحالة العظيمة في أبلغ الوجوه وبأقل الخسائر.

يمثّل اليوم مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكرى الأمة العظيمة الذي ينبغي أن تتخذه مناسبة في كل عام لتتمثل الحالة التي تعيشها اليوم والتي قد تشبه حالة الجاهلية من وجه أو آخر، فتكون الذكرى باعثة للتحليق في أجواء النبوة وأخلاق الرسالة وتعاملات الوحي الإلهي؛ ليكون للأمة نصيب وافر وجزء مهم من هذا التراث الإلهي النبوي، والذي يجب أن ينعكس على آمالها وأخلاقها وعلاقاتها، حتى تتخلق من جديد، وتتولد في أنحائها الوحدة بدلا من الفرقة، والعلم بدلا من الجهل، والرابطة الإسلامية بدلا من الروابط الأخرى، والعزة بدلا من الذلة، والهدى بدلا من الضلال والتيه، والقوة بدلا من الضعف، والعمل الصالح بدلا من العمل السيء، وبه يظهر كيانها الموعود به عند الإيمان والعمل الصالح والإستقامة والسداد، (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) النور ٥٥.

يجبَ أن تكون ذكرى المولد النبوي مناسبة لحمل مشروع الأمة الواحدة التي تحكم بمنهج الله، وتسلك سبيل العلم والسداد الذي به حياتها ونجاتها وطريقها إلى رضى الله والجنة، ومن أهم مشاريع الأمة أن تنفض غبار الجهل الذي لوّث حياتها، وسمّم أجواءها، واختزل جهودها في السفاسف، وضيّع آمالاها في الترهات، وإنه لمناسبة جليلة أن تتذكر الأمة أنه لا يجوز البقاء في الجاهلية الحديثة التي ابتعدت عن منهج الله، واتخذت لها أندادا من دون شرع الله، فعبدت المادة، وضرعت للأهواء، وسارعت إلى العصبيات الباطلة، واجتلبت مناهج وقوانين ومواقف ورؤى لم ينزل الله بها سلطانا.

يجب أن تكون الذكرى مناسبة لتجديد العهد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما يمثله للأمة من أسوة حسنة، وذخر كريم، ومنهج عظيم، ورسول عزيز عليه ما عنت أمته، وبالمؤمنين رؤوف رحيم، الذي أدّبه ربه فأحسن تأديبه، وكـان على خلق عظيم، وبهذا يجب أن تتحرك الأمة لغرس قيمة محبته في قلوب المتبعين له وفي عقول الأجيال الصاعدة باعتبار محبته فرضا دينيا يأبى قبول أكاذيب هؤلاء المتربّصين بالإسلام والمفترين على نبيه الكريم على شاكلة الفيلم الأمريكي السخيف والإساءات المتكررة التي يوجهونها إلى أعظم رمز للأمة ليصيبوها في مقتل.

يريد أعداء هذه الأمة إقامة جدار أخلاقي وقيمي وحضاري بين الأمة ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم، هذا الجدار قد يكون مبنيا من بعض أخطاء المدعين للإسلام، أو من بعض الروايات السخيفة التي تسرّبت إلى عقول المنحرفين الأوائل عن منهج النبوة الفاضل، فيتخذون من أخطائهم ذريعة للطعن في الإسلام والرسول الكريم، وقد يكون مبنيا على ترهات وأكاذيب لا أساس لها، ولا غاية إلا ضرب الإسلام في أعظم مقوم، وأكرم مصدر له، وحين يستطيعون فك الإرتباط القائم بين الأمة وقائدها صلى الله عليه وآله وسلم، حينئذ يستطيعون إيجاد بدائل أخرى لقادات وأسوات يقدمونها للأمة، وحينذاك تكون الأمة قد أضاعت هويتها، وتنكبت سبيل نهضتها، وركبت متن غوايتها، وتقسمتها الأسـوات والقدوات المختلفة، هم يريدونها أمة بعيدة عن صاحب هذه الذكرى الجليلة.

آن الأوان إذن لحمل مشروع الأمة الإسلامي من توحيد الله عز وجل بالعبودية والحاكمية واتخاذه الإله الواحد الأحد الذي يجب أن تخضع كل الأهواء لوحيه، وتنقاد كل الآراء لهديه، آن الأوان لحمل مشروع الخير والرحمة والأخوة والسعادة، والعلم والحضارة الإسلامية التي ولدت يوم ولادة أكرم مولود على هذه البسيطة بأبي وأمي هو صلى الله عليه وآله وسلم.

يوم مولد النبي يوم العلم والمعرفة

بقلم السيد/ حسن علي عجلان النعمي

كان العرب أمة متخلفة ضائعة غارقة في الجهل يئدون البنات ويرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويقتل بعضهم بعضاً، ويأكل القوي الضعيف كما قال الإمام علي (ع) :(بعثه الله والناس ضلال في حيرة وحاطبون في فتنة قد استهوتهم الأهواء، واستزلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل، فبالغ صلى الله عليه وآله وسلم في النصيحة على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة).

فأخرج صلى الله عليه وآله وسلم هذه الأمة من براثن الجهل إلى العلم ومن الظلمات إلى النور، ومن الرذيلة إلى الفضيلة، ومن الظلم إلى الحق، فأصبح العرب أمة ذات حضارة يتعلم منها الآخرون، ولكن للأسف هذه الأمة انقلبت وبدلت وتراجعت إلى الجاهلية الأولى، فالمتأمل في هذه الأمة يجدها أمة ممزقة، لا وزن لها يضرب بعضها رقاب بعض، يتقاتلون فيما بينهم فصاروا أذل الأمم وأحقرها وأضعفها، فمقدساتنا تهتك، وأرضنا تستباح وثرواتنا تنهب، وتسلم لليهود والنصارى، لأمريكا وإسرائيل كي تبقيهم على الكراسي.

نعم عرب ولكن لو نزعت قشورهم لوجدت أن اللب أمريكان، ولو تساءلنا قليلاً عن الأسباب التي جعلت هذه الأمة هكذا لوجدنا من أهمها:

الجهل وعدم تمسكنا بكتاب الله وعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعدم فهم الإسلام فهماً صحيحاً، والتعصب الأعمى، فإذا ما أردنا أن نخدم ديننا ونستعيد عزتنا وكرامتنا فلا بد أن نستحضر سيرة نبينا الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- الذي أخرج الناس في وقت قياسي من الجهل والكفر والفقر، وألبسهم ثوب العلم والأخوة والعزة والكرامة، فإذا أردنا هذا فعلينا واجبات عدة يجب أن نؤديها ومن أهمها:

١- فهم الاسلام فهماً صحيحاً.

٢- الإعتصام بحبل الله.

٣- التمسك بالثقلين.

٤- طلب العلم والتفقه في الدين والعمل به قال تعالى :{إقراء باسم ربك الذي خلق}، ولم يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه الزيادة في شيء، إلا العلم {وقل رب زدني علما}، وقال تعالى:{قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (العلم فريضة على كل مسلم) فما عُصي الله بمثل الجهل، ولو أن الشعوب الإسلامية امتلكت ناصية العلم لسبقت الأمم ولكانت خير أمة أخرجت للناس.

٥- الإخلاص لله والإبتعاد عن العواطف وتحكيم العقل فالقرآن كثيراً ما كرر {لعلهم يعقلون}، {لعلهم يفقهون} {لعلهم يتفكرون}، فلا يكون المسلم إمعة يجعل الآخرين يفكرون له، ويسلم عقله لشخص أو حزب أو حركة، فتراه كالأعمى لا يعرف الطريق، فيجب علينا أن نتسلح بالعلم والإيمان الخالص، والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين، ونجعل من مولده حافزاً لتجديد المعرفة به صلى الله عليه وآله وسلم.

بلغ العلى بكماله

كشف الدجى بجماله

حسنت جميع خصاله

صلـــوا عليـــه وآلـــه

مولده بمكة، وهجرته بطيبة، ((مستقره خير مستقر، ومنبته أشرف منبت، قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار، وثنيت إليه أزمّة الأبصار، دفن الله به الضغائن، وأطفأ به الثوائر، ألف به إخواناً وفرق به أقراناً، أعز به الذلة، وأذل به العزة، كلامه بيان وصمته لسان، بولادته ولد الحق، ولد العدل وبدت الحرية والكرامة، بولادته تتجدد الحياة والوحدة الانسانية والاسلامية، {وأشرقت الأرض بنور ربها} فهو الصراط المستقيم والسراج المنير الخاتم لما سبق والفاتح لما أنغلق، قال تعالى: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}{فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم}).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

((قال لي جبريل عليه السلام: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بني أبٍ أفضل من بني هاشم)).

لئن شكرتم لأزيدنكم

حسن عبدالله الحوثي

إن أعظم نعمة أنعم الله بها على هذه الأمة هي نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يختلف في ذلك اثنان، فقد نَقَل صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه الأمةَ من الحضيض إلى القمة، من الذل والتبعية إلى العزة والسيادة على العالم، من الفوضى والتخلف إلى أرقى مجتمع عرفه التاريخ، فكان على هذه الأمة أن تشكر الله على هذه النعمة قياماً بواجب الشكر واستدامة لتلك النعم، ولكنها لما فرطت في شكر هذه النعمة تغيرت الأمور وعادت إلى مثل ما كانت عليه إن لم تكن أسوأ .

أفلم يحن الوقت لكي تعود الأمة إلى رشدها، وتستيقظ من غفلتها !!؟

وأنا لا أستبعد أن الله حينما يقول: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} أنه تعالى يُعلم نبيه أن يريد الخير لهذه الأمة، فأمر النبي بأن يقتصر في الأجرة على المودة للقربى لا لأجل القرابة فقط، بل لأن الأمة إذا امتثلت ذلك ضمنت الهداية واستدامت النعمة، فكان في ذلك الخير لتلك الأمة، وكأنه تعالى يقول: قل لا أسألكم أجرة على هذا الدين إلا المودة في القربى لتحافظوا على هذا الدين ولا تنحرفوا عنه أو تضلوا .

ولكن للأسف لما ظهر دين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الأديان، وعجز أعداء هذا الدين عن مقارعته بالحجة، وعن مقاومته بالسيف اضطر بعضهم للدخول في هذا الدين عن غير قناعة به، كما هو ظاهر من آل أبي سفيان، والطامة الكبرى أنهم وصلوا إلى دفة الحكم، ومن هنا سيسوا الدين وجعلوه وسيلة إلى تحقيق مطامحهم، وسعوا حثيثاً لفصل الأمة عن دينها الذي جاء به عن الله رسوله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وذلك بفصل المسلمين عن كتاب الله وعن حمَلَته من أهل البيت عليهم السلام، وعلى رأسهم أميرالمؤمنين علي عليه السلام، (ولا يخفى ما وقع من سب لأمير المؤمنين على المنابر وعندما لم تنجح حملتهم في النيل من أمير المؤمنين عمدوا إلى تمجيد شخصيات لربط المسلمين بهم وتشتيت أذهان المسلمين عن أهل البيت والصحابة الأخيار، فهذا أحمد بن حنبل هو القائل: (إعلم يا بني أن علياً كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه عن عيب فيه فلم يجدوا فذهبوا إلى رجل قد حاربه (يعني معاوية) فأطّروه كياداً منهم لعلي!!))، كما أنهم تشددوا في مسائل كثيرة لمجرد أنها تخالف منهج أهل البيت عليهم السلام، فانجرفت الأمة إلى الهاوية، وتاهت وتشرذمت وتقطعت أوصالها، بل وجعل كل فريق يوجه قوته إلى الآخر، حتى غرقت في مستنقع من الذل والهوان إلى أن وصلنا إلى حالتنا (المأساوية) الراهنة، وذلك مما حمل بعض أبناء الأمة على الشك في دينه وبعضاً آخر -وهم كثيرون- على ترك العمل بتعاليم الإسلام حتى صار الإسلام مجرد هوية بالنسبة لهم فلم يكن لهم من الإسلام إلا اسمه .

ولا ننكر أن هناك من يسعى إلى الإصلاح، ولكنه يفشل بل وأحياناً يزيد الطين بله، وذلك أمر طبيعي؛ فإنه لا يمكن أن تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وهو الشريعة الإسلامية الصافية النقية المأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصحيحة، وهيهات لها ذلك إلا بمتابعة أهل البيت عليهم السلام، وهو ما دل عليه الكتاب والسنة الصحيحة .

والآن يدرك كثير من أبناء هذه الأمة أن لا مخرج من هذه المأساة إلا بالرجوع إلى الله وإلى كتابه، ويدركون خطر النزاعات الداخلية والإختلافات المذهبية، ومع البحث بدأت تتكشف كثير من مسائل الزيف والباطل، كما أنه في المقابل يظهر صفاء ونقاء منهج أهل البيت عليهم السلام وتزداد علومهم تألقاً.

ومن المحاولات الإصلاحية ما يرى البعض، بأن الحل الأمثل أن نتجاوز كل الخلافات وأن نتغاضى ونتسامح ونتساهل مع كثير من المعتقدات الزائفة والمسيئة إلى ديننا، بل وفي بعضها إلى خالقنا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون.

ونلحظ في الآونة الأخيرة أن هناك من يأنس لهذا القول خصوصاً عندما يرى تمسك أهل المذاهب العقائدية بمذاهبهم، وتشددهم فيها حتى حكمت كل فرقه بهلاك من خالفها ودخوله النار، ناسين أو متناسين أن صاحب هذا القول قد خطّأ الجميع أهل الحق وأهل الباطل في حكمهم على من خالفهم، كما أنه لا يعتمد أهل البيت الذين جعلهم الله سفن النجاة لهذه الأمة في هذه الأمواج المتلاطمة من الفتن والتيه وطمس الحقائق وتشويهها.

ولو تأملنا وضع هذه الأمة لوجدنا أن المخرج الوحيد هو في متابعتهم؛ لأنهم الحل الوسط والخالي من كل شائبة ومن كل كارثة ومصيبة ألحقت بالدين، فمثلاً لو نظرنا إلى الحملات التي يشنها أهل السنة على الشيعة لوجدنا كل المثالب والكوارث مما انفرد به الشيعة غير أصحابنا، ومن تتبع القنوات الفضائية التي همها النيل من الشيعة سيدرك ذلك.

وبالمثل لو تأملنا الحملات التي يشنها الشيعة على أهل السنة لوجدنا المثالب مما أنكرها الزيدية على أهل السنة، وبذلك خلت فرقة الزيدية من تلك المثالب التي كان السبب في الوقوع فيها هو البعد عن أهل البيت المطهرين .))

هل نستطيع الإستفادة من الفيلم المسيء؟

حسن فرحان المالكي

قال تعالى: {وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم}؛ فهل يمكن أن تنطبق هذه الآية - رغم كل الألم والإمتعاض- على حالة المسلمين في موقفهم من الفيلم المسيء؟ البعض قد يقول: إن الفيلم المسيء - مع ما فيه من سوء- لم يخل من فائدة، ولو لم يكن منها إلا أنه قد أسهم في تخفيف الإحتقان الطائفي وتوحيد المسلمين نحو هدف مشترك، وهو نصرة النبي صلوات الله عليه وآله والغضب له، والتظاهر لأجله والشعور بوجود عدو مشترك يستهدف الإسلام في أخص خصوصياته (القرآن والنبي) لكفى، فقد توحد المسلمون سنة وشيعة في الإستنكار والغضب وتناسوا الخلافات فيما بينهم، وهذا بحد ذاته إيجابي، أعني تخفيف الإصطفاف الطائفي، والإجتماع على أهداف مشتركة، أو ربما اكتشاف «مشتركات أساسية»، كان غلاة الفريقين قد تناسوها وسط الخصومات، ولكن هذه الفائدة صغيرة جداً قياساً بالإساءات البالغة التي تضمنها الفيلم، فهل نستطيع زيادة منسوب الفائدة المعاكسة للفيلم وأهدافه؟ الجواب: هذا يتوجب معرفة أهداف الفيلم؟ ثم العمل على إبطالها، فما هي أهدافه؟ للفيلم هدف أساسي كبير وهو تشويه صورة النبي صلوات الله عليه وآله، هذا يجمع بقية الأهداف، فكيف نستطيع معاكسة هذا الهدف؟ قد يقول البعض بالمظاهرات والضغط السياسي على الولايات المتحدة والغرب عموماً، وهذا الفعل رغم تأييدنا له إلا أنه يبقى ذا فائدة سريعة آنية، فلا نأمن أن يظهر غداً فيلم مماثل أو رسومات أو كتابات ..إلخ، مثلما سبقته أعمال من هذا النوع، إذاً لابد من التفكير في عمل جذري إستراتيجي بعيد المدى، يتدرج طلوعاً أو نزولاً، بمعنى يتدرج إما بالنزول من القرآن ونفي ما يضاده من الحديث، أو بالتدرج طلوعاً بالاطلاع على مواد هذه الأفلام والكتب والرسومات وتصنيفها، بين استغلال مادة والتركيز على أخرى وافتراء ثالثة، فليس مواد تلك الكتب والأفلام والرسومات آتية كلها من التحليل أو من الهواء الطلق، فبعضها نحن مسؤولون عنه كمسلمين، والمنافقون لم يموتوا بموت النبي (ص) كما يتوقع الكثيرون، بل بقوا بعده وكانوا له أعداء فركنوا إلى الظالمين، وحدثوا عن رسول الله بالأباطيل، ولكن المسلمين وثقوا بهم عندما أصبحت السلطة هي المعيار وليس البرهان، والسلطة هنا بمعناها الواسع، سلطة الحكم وسلطة السائد المذهبي ..إلخ. إن الذين يتصورون أن النفاق كان موجوداً فقط مع وجود النبي حياً، فلما مات صلح الناس، فيه أكبر إساءة للنبي صلوات الله عليه، وكأنه سبب وجود النفاق على وجه الأرض، وفيه إساءة إلى كتاب الله وكأنه يتحدث عن شخوص معينين (من المنافقين)، وليس عن حالات ثقافية ونفسية ستستمر إلى يوم الدين، ولها ثقافتها وأحاديثها ولها تلاميذها من الصالحين والمفسدين، وإذا كان القرآن قد أخبر عن بعض الصحابة بسماعهم من هذه (الحالة النفاقية) فكيف بمن بعدهم؟ قال تعالى: (وفيكم سمّاعون لهم)، لاحظ (سماعون) بصيغة المبالغة، ونقل الله صادق، ومن كذّب هذا النقل القرآني أو استهان به فكيف ننتظر منه حسن الدفاع عمن هو دونه؟! السلطة يجب ألا تكون معيار صواب المعرفة، لابد أن تنتج المعرفة معيارها، والسلطة بمفهومها الشامل هي المانعة من تصحيح هذه المفاهيم؛ لأنها إنتاج ذلك التشويه القديم، وهذا (التنفل) من ذلك (الثعلب). إذاً فهذا العمل التدرجي من الاطلاع على المواد ومحاكمتها واتخاذها مادة للدعوة للإسلام حتى يكون عملنا هنا علمياً مقنعاً ومعرفياً يضغط على الإنسان الغربي الذي لا شأن له بالسياسة ولا بالتشريع ولا إنتاج هذه المواد، فالغرب أمم وشعوب لا يجوز أن نهملها هكذا ونقتصر على التظاهر والاستنكار، لابد من عمل ثقافي. إذاً فالتصحيح الداخلي، أو النقد الذاتي لتراثنا الذي حمل معظم مادة هذه الرسومات والكتب والأفلام، هو العمل الذي أصبح فرض عين، بعد أن قصر المسلمون في هذا الباب، لأن أصل المرض موجود في تراثنا ولو بنسبة معينة، صحيح أن الفيلم المسيء انتقى أسوأ ما رواه أهل الحديث والمؤرخون، وزادوا عليه أكاذيب ليست موجودة أصلاً، إلا أن شطراً كبيراً من الإساءات موجود عند أهل الرواية من أهل حديث وإخباريين ونسابين.. إلخ. إذاً فالخط المعرفي هذا هو الأنجع والأقوم بالشهادة لله، إلا أنه تعترضه عدة عوائق إسلامية (أعني من المسلمين لا من الإسلام)، ومن أكبر هذه العوائق أو الأوهام: العائق الأول وهو الوهم الأول: إن أكثر المسلمين لا يتصور أبداً أن التراث الإسلامي يحتوي على نصف مادة هذا الفيلم - حسب ما ظهر منه حتى الآن- وربما أكثر، وهؤلاء هم العامة الذين لا يعرفون كتب الحديث والروايات المفتراة على رسول الله، فهذا الوهم لابد أن يزول من العامة؛ ليستطيعوا الضغط على الخاصة؛ ليقوموا بالمراجعة الجادة من خلال الاعتراف بهذه الإساءات أولاً، ثم العمل على تضعيفها علمياً وبيان أسباب هذه الإساءات، هل هو القصد أو الرواية بالمعنى أو اختلاط الآراء الشعبية بالنص أو غير ذلك مما سيتبين حال الدراسة الجادة فقط. العائق الثاني وهو الوهم الثاني: أعني ذلك الوهم الذي يسيطر على أغلب من يعرفها من العلماء وطلبة العلم الذين يسيطر عليهم، وهم عجيب يخفونه عن الناس، وهو ظنهم أن تلك الإساءات صحيحة ثابتة! ولكنهم لا يسمونها (إساءات) إلا إذا ظهرت في فيلم أجنبي، أو يتأولونها على بساطة ذلك الزمان أو حكمة التشريع وغير ذلك من الأعذار الواهية، وهم يكتمونها عن عامة الناس. إذاً فالفائدة عندما نعيد (صياغة السنة) صياغة قرآنية لا مذهبية ولا روائية ولا حديثية، إلا ما اتفق من هذه الأحاديث والروايات مع القرآن الكريم المهيمن على الكتب كلها. وهنا يبرز عائق ثالث: وهو أن يتصور المسلمون أنه لا تضاد بين النبي (الحديثي) والنبي (القرآني)، أعني صورة النبي في القرآن وصورته في الحديث، وهذا وهم ثالث، وهو نتيجة البعد عن المقارنة الجادة، من مشروعية القتال والجهاد (للدفع) إلى تشريعه للتوسع، وسائر ما يتصل بالحياة الأسرية والشخصية للنبي صلوات الله عليه وآله، نعم هناك تباين واسع ولكن البحث الجاد وغلبة الرواية والمذهبية منع من محاكمة الروايات والمذاهب والتصورات بالقرآن الكريم.

سيرة عطرة

علي أحمد الغالبي

إن الحديث عن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم الذي رفع الله ذكره، وعظم أمره، واصطفىَ معلماً وهادياً ليس كالأحاديث، وليست تلك الشخصية النبوية المحمدية كالشخصيات التي مرت بهذا العالم وملأت جنباته سمعة وصيتاً ومجداً؛ لأن تلك الشخصيات يزيدها التحدث عنها معرفة ووضوحاً، بينما شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تتحدث عن نفسها، ويتحدث الواقع عنها، وتفتح أمام المتحدث عنها آفاق سعة وشمول، ورقي وسمو تمتد إلى ما شاء الله؛ لأن هذه الشخصية ذات جاذبية وفاعلية فريدة، العالم كله ـ الحياة والأحياء والهدى والنور والطهارة والنجاح والكمال البشري ـ يحدثك عن تلك الشخصية العظيمة، لكن الإقتباس من نور ذلك النور، والإهتداء بتلك الشخصية الخالدة، الحية في القلوب، والموحدة للمشاعر، والتوجهات التي رفعنا الله حين أمرنا بالاقتداء بهديها وتلمس إشراقاتها لا يمكن دون أن ننطلق من تلك السيرة العطرة الزاخرة الفاخرة، ونعود إليها مرة بعد مرة في كل لحظات حياتنا، وعند كل خطوة من خطوات أممنا وشعوبنا؛ لنعود جميعا بعد تلك الإستزادة من ذلك المعين الذي لا ينضب مشحونين بطاقة الإيمان والثقة والرضى والنجاح والفلاح التي اقتبسناها من تلك الأنـوار والأسـرار، وليس من العجيب ولا المستغرب أن يصف المنصفون من البشر هذه الشخصية بأنها أكثر شخصيات العالمين تأثيرا ونجاحاً؛ إذ أنه لا نجاح ولا صلاح ولا ثمرة ولا غاية كالتي قدمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى البشرية جمعاء وإلى الأمة التي حملت هذا المنهج، وشرفت به، وسمت في عليائه، ونقلها الله به نقلة لم يشهد لها التاريخ ولن يشهد لها مثيلاً في الرؤى والتصورات والمعتقدات والأعمال والإنجازات، والاهتمامات والغايات في مدة قصيره بحسب عمر الأمم والحضارات.

استلمت أمة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم القيادة والريادة والسيادة على البشرية جمعاء، ووعدها الله باستمرار ذلك مهما تحملت أعباء تلك المكانة ومسئولياتها الجسيمة، وسارت على الضوء الممتد الذي رسمه الله ورسوله لها، ولم تضيع أسباب السعادة والصلاح والإستمرار والبقاء من إقامة الدين والاجتماع عليه والدعوة إليه والسير في سبيله، قدوتها في ذلك ودليل رشدها محمد إمام الأنبياء، منه فاضت الرحمة والخير والصلاح والمحبة والهداية بما وسع العالم كله، وبما يحيي القلوب ويستهوي المشاعر، ويصبغ الحياة الدنيا والآخرة بكل خير وسعادة، ومن يتتبع واقع العالم عموما والعرب خصوصا قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبزوغ فجره وإشراق شمسه، يتيقن بما لا يدع مجالا للشك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولد لتولد الحياة الكريمة والجليلة والهادفة؛ وليوجد للبشر القيمة والوزن الذي أراده الله لهم، وبُعِثَ لتبعث روح الصلاح والإصلاح من جديد في جسد الأمة وأوذي وعانى وتحمل؛ لأنه يمثل درساً واقعياً متكاملاً للمقتدين والعاملين والصادقين، وحملة المشاعل الهادية الزاكية، واختزلت في سيرته العجيبة الشأن كل جوانب الإنسانية وجوانب الحياة المتنوعة وهو المعلم والمربي ورجل الدولة والزوج ورب الأسرة، والأب والزاهد المنقطع إلى الله، والمصلح المتصل بالناس، وهو قدوة للأغنياء والفقراء والعاملين والمصلحين والتجار والناجحين وغيرهم ممن تشمله جوانب سيرته الخالدة، وتجود بها حياته المباركة، ولم يكن دور النبي صلى الله عليه وآله وسلم دوراً محدوداً قاصراً على رصّ صفوف، ولا جمع أعداد من البشر ولا كسب انتصارات، بل كان هدفه أسمى وغايته أكبر، لا يستهدف فئه أو قبيلة أو محيط معين، بل رسالته إلى البشرية التائهة كلها، وإلى جميع الأزمان والأحيان، تبعث القلوب والشعوب وتعيد للحياة والأحياء قدرهما وطهرهما ورقيهما.

هذه خطته ورسالته التي أراد الله لها أن تسود، وتقود، وأن تستمر، وأن يزين بها وجه الحياة وتكون دستور العلاقة بين الإنسان وخالقه العظيم، فالنبي كان في هذه الرسالة أذن الوحي الصادقه التي استقبلت آخر رسالات السماء إلى الأرض وأكملها، والمهيمنة على ما سبق منها، رفعت قيمة الإنسان وأعلت شأنه وقدره إلى ما أراد الله من الكرامة والسعادة.

حديثنا عن الشخصية النبوية المحمدية العظيمة حديث طويل، وجليل؛ لأنه في الوقت نفسه حديث عن الإسلام وعظمته وعن القرآن وإعجازه الخالد، وعن قصة الإنسان حين رفعه الله وكرمه وأوحى إليه، وزكاه وهداه بهذا النبي الخاتم، وتلك التعاليم الثمينة التي أبرز سماتها الواقعية والبساطة والوضوح، مما يجعلها صالحة للتطبيق والتناول تحت أي سماء، وفوق أي أرض، فتخصب بها القلوب، وتثمر بها الحياة ويسعد بها، وتحت ظلها الإنسان أياً كان وفي أي ظرف ومكان كان، وذلك لأن هذا الدين وهذا النهج وهذا الهدي صممه من يعلم السرّ وأخفى، ويعلم نوازع الانسان وخوالج نفسه، وهو قبل ذلك من أنشأه وصممه، وشق له سمعه وبصره، فلا عجب بعد ذلك كله ألا يجد هذا الانسان سعادته وصلاحه إلا في منهج رسمه له خالقه ومبديه ومعيده وأرسل به أزكى البشر، هـدية للبشرية، أصدق ما يقال عنها إنها رحمة، وإن المرسل بها منّة وعطاء وكرم من الله العظيم، ميزتَه أنه ممنوع من كل ثقافات البشر؛ ليتفرغ للتلقي والترقي من الله العليم الخبير، ومن الصدق المطلق والوحي الصادق الذي لا يحتمل الأخطاء والأهواء والأدواء، بل هو حكمة ومصلحة تنفذ عبر الأزمان والأحداث، وكانت رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً مفتوحاً خالداً يتحدث عنها القرآن، ويؤيدها البرهان، لم يخاطب به من حضره فقط ولكن من بلغه ووصله فأمن بما غاب عنه، وتقبل هذا الغيث المبارك من الهدى والنور، وكما واجه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

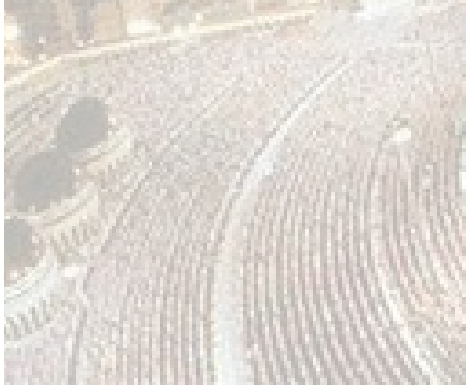

الجاهلية الأولى، وطمس معالمها وسماتها، وبعد أن سلطت سفهائها لرجم النبي بحجارة الضلال والجهل عادت الجاهلية الأخرى المتمثلة في الحضارة الغربية الجوفاء، فجعلت من عظمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هدفاً وغرضاً لسهام حقدها وغمزها ولمزها، وهي بذلك تؤكد أنها حضارة متهاوية الأركان في الجانب الروحي والخلقي حتى لو بلغت أوج التقدم المادي، فما زادت على أن أقصت الانسان، وكرّمت الآلة، وعبدت المال وتقاتلت على الثروة، وأعادت البهيمية إلى حياة الإنسان المكرم، وقيدته بأغلالها فلم يعد للأنسان قيمة، وإنما للثروة، ولا للعدل وجود وإنما للظلم والقسوة، ولا للإيمان والفضيلة وزن، وإنما للإلحاد والإنحلال، وأصبح العالم الذي أنتجته هذه الحضارة يشبه غابة يحوطها الخوف، ويسيطر عليها الطمع، وتسود فيها الوحشية ضد المستضعفين، وتنهب فيها ثروات الكادحين، ويزداد فيها الدجل والتضليل، فهذه الحضارة التي ذلك دينها وديدنها لا عجب أن تحاول الإساءة إلى شخصية النبي الخالدة، وما هي إلا الجاهلية الهزيلة بكل تفاصيلها مهما لمعت صورتها، وأخفي قبحها، وهي أشد من الجاهلية الأولى عتواً ونفوراً واستكباراً في الأرض، وإيغالا في الباطل فلئن غرقت في بحار الضلال والإضلال، فما يمنعها أن تحاول إطفاء شمس الهداية شوقاً إلى الضلام والضلال.

إن احتفالنا بهذه المناسبة يعني أن نجدد الإرتياط العملي والنفسي بتلك الشخصية الخالدة، وأن نحدد موقعنا في الخارطة النبوية بالتأسي والتمثل، والاقتداء بقدوة البشرية الذي رضيها الله ورضي عنها، فمن أحيا هدي محمد ونهجه في نفسه وفي من حوله فقد بالغ في الإحتفاء بالنبي وبمولده احتفاءً لا مزيد عليه ولا مثيل له.

حسان الخواطر في ميلاد النبي الطاهر

أحمد أحسن عطية قامس

وقفت حسان خواطري متجمعه ... ورأيتها بالشعر لا تأتي معَه
وحسبت أني إن لمست زمامها ... ستقول خذني إنني لكَ إمّعَه
ويدي أمدّ أريد أن أحضى بها ... فإذا بها تأتي وتذهب مسرعه
مالي أراكِ تزخرفين ليَ الهوى ... وتوزعيه على الجهات الأربعه
فإذا لقيتكِ ترجعين القهقرى ... تتمايلين كأنما أنا في سعه
إمـا وصـال أرتجيه فتأتني ... وبحجر شعري ترتمين مقطعه
أو فاذهبي عني فإنيَ زاهدٌ ... لا أسلك السبل التي لن تجمعه
ولقد علمتِ بأنني لكِ طالبٌ ... أرجو المحبة والمودة والدّعَه
فقفي مكانكِ إنني لكِ حاجرٌ ... باسم الإلـه فليس من هجرٍ معه
ثم اطرقي سمعاً لقلبي كي تري ... خفقات قلبي في الهوى لكِ مسمعه
وستلصقين على الجبوب روانفاً ... ومن الأباخس سوف تنمو أربعه
وثلاثة منها ستمسكُ مزبراً ... وتخط بالعشق المديح لأرفعه
والآن مدي لي الجناحَ وبادري ... كي أستقلكِ ما أراك مودّعَـه
فإذا خفضت جناح ذلٍ فارتجي ... عزاً من المولى فبابكِ مشرعه
صفي الجناحَ ورفرفي في لهفة ... فالعشق أرسل ريحه المتجمعه
في شعر عبد للإله وعاشقٍ ... لثرى النبي محمد قلبي معه
وتأهبي فإذا استويتِ فأسرعي ... وخذي مكانكِ بين طيرٍ مسرعه
بل سابقيها في المسير وحلقي ... فوق الحطيم وزمزمٍ متربعه
فإذا شممتِ هواء مكة فانثني ... نحو المقام وعرجي متطوعه
وقفي ببيتِ الله ثم تذكري ... أنوار يوم أشرقت وأتت معه
هو يوم ميلاد الهدى وبزوغه ... بظهور فجرٍ ساطعٍ ما أروعه
يـومٌ تبسمَ فيه ثغر زمانه ... ومكانه طرباً فربكِ أبدعه
يـومٌ محافله بلا عـدد سوى ... مَنْ قلبُه من بغض أحمد موجعه
فسلي المكان عن الزمان لتُخبري ... عن ثغره البسّام كيف تصنّعه
وسلي بمولده المدينة كي تجب ... بنشيدها والبدر من ذا أطلعه
وسلي عيون الظلم أين تدحرجت ... عميت بمولده فلم يرَموضعه
وسلي الوئيدة أين صارت بعدما ... ولد النبي ولم تكن متوقعه
كم بين مظلوم وبين جراحه ... ولد الطبيب فزال ما قد أوجعه
بشراك مكة غـردي وتهللي ... وقلي لطيرك أن يغرد أجمعه
بشراك ءامنةً أمنتِ بمولدٍ ... أمِنَت به الأحيا بلاخوفٍ معه
هو ذا الحبيب الطهرطه قد بدا ... نـوراً على نـورٍ فياماً ألمعه
طب القلوب دواؤهـا وشفاؤها ... شغفَ القلوبَ محبة متوسعه
تلك الملايين التي تُهدى به ... تفديه روحاً بل ستفدي مضجعه
والشانئون له سيُبتر كيدُهم ... إن المصير بهم لنارٍ مفجعه
فمحبة الهادي مناط أماننا ... وكذاك أهل البيت واخصص أربعه
أما الحسين إذا ذكرت مصابه ... فابكِ عليه دماً وشاهد مصرعه
واذكر حفيد السبط زيداً حُرّقت ... أشـلاؤه بعد الصليب مقطعه
واعرج على الهادي وباقر علمهم ... والصادق المصدوق والمهدي معه
واذكر دم النفس الزكية سائلاً ... حتى حجار الزيت واذكر منبعه
فاذكر إذن ماذا جرى لمحمدٍ ... ولآلـه مـن أمـة لـن تنفعه
أكـذاك أجـرة أحمدٍ في آله ... ولمن لطه؟! ليس ذاكَ لصعصعه!!
سيدوم ذكرُنبينا فُي أهله ... ما أشرقت شمس الصباح مشعشعه
تلك الأُرومة من يحد عن سبلها ... حقاً يقال لمثله: أطرق ضَعَه

من مكارم الأخلاق المحمديّة

فهد حسن عبدالله شايم

بسم الله والحمد لله، والصّلاة والسّلام على مَن أنارَ الله بقدومه ظُلمَات الجَهل والوثنيّة والعصبيّة الجاهليّة، سيّدنا وإمامنا وقدوتنا، ومرشدنا محمد بن عبدالله، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وبعد:

يطل علينا الثاني عشر من شهر ربيع الأول، ليُحيي في أنفُسنا ذكرى مولد خير من وطئ الحصَى، النبيّ الأمي الخاتم الأمين، الذي كان يقول: (أدّبني ربّي فأحسنَ تأديبي)، ويقول الله تعالى فيه: ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ))، ويقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق) ، فكانت هذه الرسالة وهي إتمام مكارم الأخلاق من أهم بل هي جوهر رسالته صلوات الله عليه وعلى آله للأمّة.

فمن مَكارم الأخلاق: الشكر للمُنعِم، ومن شُكر المنعم معرفته، ومَن كمَال مَعرفته توحيده، ومن كمَال توحيده تنزيهُه عن كلّ ما لا يَليق به جلّ شأنه، ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)) .

ومنَ مَكارم الأخلاق: الإقرارُ بالفضل لمن أنقذنا الله به من ظُلمات العصبيّة والوثنيّة والجاهليّة، فلم نكُن بدونه عالمين فتعلّمنا ما يُحيينا كتاباً وسنّةً ومُعاملةً، فهذا من الوفاء .

ومن أخلاق النّبي صَلوات الله عليه وعلى آله مع أهله :

كان صَلوات الله عليه وعلى آله حسن التّعامل مع زوجاته، لطيفاً معهم، رحيماً بهم، وقال في هذا صلوات الله عليه وعلى آله: ((خيرُكم خيرُكم لأهله وأنا خيركُم لأهلي))، وليسَ ما نَجده اليَوم في تعامل الزّوج مع زوجته بالإقصَاء والعصبيّة، وعدم الإحترَام من ذلك الخلق المحمديّ في شيء، وكذلك ما نجدهُ من تعامل الزوجَة مع زوجهَا بالإهمَال، وعدم الإحترام، فواجبٌ على الزّوجين أن يتخلقا بخلق رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، والزوجان متى حافظا على تلك الأخلاق الإسلامية في تعاملهما، سينعكس ذلك إيجاباً على عبادتهما، وعلى ذريّتهما.

ومن أخلاق النّبي صَلوات الله عليه وعلى آله مع الأطفال:

فقد كان صلى الله عليه وعلى آله يهتم بالجانب النفسي لدى الطفل بما يعزز عنده الثقة في نفسه، والرجولة، وكان صلوات الله عليه وعلى آله إذا مرّ بالطفل سلّم عليه، وكان صلوات الله عليه وعلى آله إذا سمع بكاء الصبي ربما أسرع في الصلاة يخاف من افتتان أمّه، وكان ينزل من الخطبة فيحمل ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام، وكان صلوات الله عليه وعلى آله يُكنّي الأطفال، وللأسف لا يتصرف كثير من الآباء اليوم مع الأطفال كأقل تصرفه صلى الله عليه وآله وسلم معهم، فلا يجدونَ إلاّ الإهمال والإبتعاد عنهم، ولا يكاد الوالدان أو أحدهما يشجّع ابنه، أو يقترب منه، أو يشاركه تفكيره، ثم هما يطمحان في صلاح ابنهما وبره بهما، وهما لم يُحسنا تأديبه وتوجيهه منذ صغره ونشأته .

ومن أخلاق النّبي صَلوات الله عليه وعلى آله الرّحمة:

فقد كان صلوات الله عليه وعلى آله يُعامل النّاس من حوله بالرّحمَة، ويستمعُ لهُم، ولا يُسيئُ بهم الظنّ، ويحملهُم على السّلامَة، وقال الله تعالى واصفا له صلوات الله عليه وعلى آله: ((وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ))، وهذهَ الصفات نفتقدها كثيراً في حياتنا اليومية، فأصبح الكثير يتعاملون بسوء الظنّ، وليسَ من أسلوبهم إلا الغلظَة، فهذه أخلاقٌ شيطانيّة لا محمديّة، وقد كان للمسلمين في رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله قدوة حسنَة.

ومن أخلاق النّبي صَلوات الله عليه وعلى آله التّواضع :

فقد كان صلوات الله عليه وعلى آله يُعامل النّاس بلين الجانب، يجلسُ مع الفَقير، ويحنو على العَبيد والخدَم، ويبتع من سعف النّخيل، وقد كان بوسعه بإذن ربّه ودُعائه له أن يكون ملكاً نبياً كما جاءت الأخبَار، إلاّ أنه صلوات الله عليه وعلى آله آثر حياة عامّة الأمّة على حياة الرفاهيّة والمُلك، وصدق الله تعالى القائل: ((تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ))، والَيوم ليسَ أكثرُ أهل الجاه والمَال والسّيادَة من ذلك الخُلق المحمديّ في شيء، فهُم يتكبّرون على العباد، ويستعبدونَهم، ويستضعفُونَهم، وأشنعُ تكبّرهم على خالقهم جلّ شأنُه، فنجدهم لا يردّون السّلام، وتأخذُهم العزّة بالإثم من النّصيحَة، ولا يُجالسون الفَقير والضعيف استكباراً واستحياءً من النّاس!!، وتتجهّم وجوههم النّاس، وإن صافحوا فمصافحَة المتمنن بلا مُناصفة، وليس ذلك من أخلاق سيّدنا وقدوتنا محمّد بن عبدالله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم في شيء. وليس هذا مقام الإسهاب في تفصيل شمائل ومكارم أخلاق من شهدَ الله له والمؤمنون بكمال الأخـــلاق، ولكن نتبرك في هذه الذكرى المباركة ببعض ما نقدّمه للأمّة للعظَة والذّكرى بالتأسّي بقدوة الأوّلين والآخرين.

المولد الأعظم

علي أحمد الحملي

حين وُلد نبي الله موسى عليه السلام أوحى الله تعالى إلى أمه {أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ }طه٣٩{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} القصص٧ وهذه الأحداث العظيمة تدل على رفعة شأن هذا المولود (موسى عليه السلام)الذي بشر بذلك النبي الذي وُلد بعده.

وكذلك نبي الله عيسى عليه السلام الذي كان مولده معجزة كبرى (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا) بشر بذلك النبي الذي وُلد من بعده، فأيُّ مولد أعظم وأجل من مولد موسى ومولد عيسى عليهما السلام.

إنه مولد محمد صلى الله عليه وآله وسلم (النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ) الأعراف ١٥٧

سبقته الأنبياء عليهم السلام وتأخر زمانه عن جميعهم فكانت له فضيلة عليهم بأن كانت كل شريعة من شرائع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام منسوخة حيث كانت شريعته الناسخة لها ولا نسخ لشريعته ولا لأحكام منها إلا بها لا بغيرها ، بل حتى ليس هناك اندثار منها يحتاج إلى رسول بعده لينبئ عن ما اندثر.

وقد يجول في بعض الأذهان أن ذلك معناه انقطاع وحي السماء عن الأرض مع أن البشرية في أمس الحاجة للهداية والرشاد في ظل ما يعصف بها من ابتلاءات ومحن وظلمات... الخ، فكيف صارت هذه مزية مع وجود هذه الحاجة البشرية ؟

والجواب أن الإسلام دين كامل ما شابه نقصٌ، فهو شامل لكل قضية من قضايا البشرية في كل عصر من العصور حتى قيام الساعة، وكذاك وجود الضمانة للبشرية من الضلالة التي أرشد إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض).

والحديث عن المولد النبوي حديثٌ عن كل شيء؛ لأنه حديث عن رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، والإسلام دين الحياة بكل مجالاتها و تفاصيلها، وسأتطرق هنا للحديث عن غاية من غايات بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقول تعالى {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }الجمعة٢ يتلو عليهم آيات الله تعالى، وفي ذات الوقت ينبغي عليهم أن يفتحوا مسامع آذانهم وقلوبهم لسماع تلك الآيات والإسترشاد بها، (ويزكيهم) بتعاليمه وتوجيهاته وسيرته وأخلاقه إذ أنه غيرُ مُجبرٍ لأحدٍ على أن يكون زكياً، (ويعلمهم الكتاب والحكمة) فيتعلمون منه كل ذلك، فكُلف هو صلى الله عليه وآله وسلم بالتعليم بينما كُلفوا هم بالتعلم منه، وهذا التكليف غير قاصر على من كان في عهده صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ أنه صلى الله عليه وآله وسلم مرسلٌ للناس بأجمعهم من عهده إلى أن يرث الله الأرض {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }الأنبياء١٠٧

ولعل سائل يسأل كيف لنا بالقيام بهذا ولم يُعدْ شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاضرا في زماننا؟

والجواب نجده في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يحمل هذا العلمَ من كل خلف عدولُه ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)، فعلمه الذي كان يُعلّمُه، حمله عدو له كابراً عن كابر من عهده صلى الله عليه وآله وسلم، إلى يومنا هذا وسيحمله عدوله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أما تحريفات الغالين وانتحالات المبطلين، وتأويلات الجاهلين فليست إمتداداً لخط الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وبهذا يتبين لنا أن التفريط في التعلم من حَمَلَة ما علّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم هو تفريطٌ في التعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا التفريط يعني السقوط في الضلال الذي يقول تعالى عنه: (وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) فنسأل الله بحق هذا الرسول الكريم وآله صلى الله عليه وآله وسلم أن يثبتنا على ما يحب ويرضى ويختم لنا بأحسن الحسنى.

حجية السنة

العلامة/ عبدالله الديلمي

الحمد لله والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وبعد،

فهذا بحث جمعته مناقشاً من يقول بعدم الحاجة إلى ما صح عن رسول الله سنداً مع عدم مخالفته للقرآن ولو ظاهراً، والذي دعاني إلى ذلك ما سمعته من الشيخ العلامة الهمام والبحاثة الأستاذ الحسام/ حسن المالكي عند استدلاله بقوله تعالى: «أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب» و قوله تعالى «ما فرطنا في الكتاب من شيء»

أما بيان المقصود بقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} وقول تعالى : {مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ} فالمعنى المقصود هنا: أي أصول القرآن فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين ذلك إما مفصلاً وإما مجملاً.

قال في المصابيح في تفسير سورة الأنعام: وقوله: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} قال في البرهان يعني من أمور الدين إما مفصلا يستغني عن التفسير أو مجملاً جعل إلى تفسيره سبيلاً.

قال الحسين بن القاسم عليهما السلام معنى {ما فرطنا} أي لم نتوان في شيء في الكتاب ولكنا جعلنا فيه أصول جميع الأسباب ولم نتوان في الخبر عن رحمتنا حتى ذكرنا البهائم والطير والدواب {ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} أي يجمعون في ذلك اليوم إلى الله وينشرون. انتهى.

وقال الامام الهادي عليه السلام: «إن رسول الله عليه السلام لم يكن ليخترع أمراً دون الله سبحانه، وأنه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم حين يقول: (إِنْ أَتَّبِعُ إلا مَا يُوحَى إِلَيَّ)[الأعراف٢٠٣]، وكما قال عليه السلام حين يقول: (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)[ص: ٨٦]، ونقول إن الله سبحانه لَمَ يكل شيئاً من ذلك إلى نبيه يبتدعه ولا يشرعه ولا يفرضه ولا يثبته؛ إذاً لقد كلفه الله شططاً من أمره، وألزمه معوزاً من فعله، بل القول في ذلك المبين، والحق البين اليقين أن الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه، أصّل أصول فرائضه في الكتاب المبين، ونزله على خاتم النبيين، فجعل في كتابه أصول كلما افترضه من الدين، وبينه لجميع العالمين، فكانت أصول الدين في الكتاب كلها، وجاءت الفصول مفصولة والفروع المفرعة إلى النبي عليه السلام من الله ذي الجلال والإكرام على لسان الملك الكريم جبريل الروح الأمين، فنزل بشرائع الدين وتفريع أصول القرآن المبين على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كما نزل عليه السلام بالأصول إليه، وكان نزوله بالفروع مفرعة، كنزوله بالأصول المجملة المجتمعة، وأدى جبريل الروح الأمين إلى محمد خاتم النبيئين فروع شرائع الدين، عن الله رب العالمين، كما أدى مجملات أصول القرآن المبين. والسبب في تفريق ذلك من الله، فنظرٌ من الله لبريته، وعائدة على خلقه، ولطف في فعله وصنعه، وتقوية لمن أراد حفظ كتابه، وحمل ما نزل من وحيه وبيانه. فخفف عنهم في الكتاب، وأعانهم بذلك في كل الأسباب، ففرق بين الأصول الموصولة، والفروع المفرعة، فجعل الأصول في الكتاب مجملة جاء بها جبريل، وجعل الفروع في غير الكتاب جاء بها أيضاً جبريل، وكل من الله وحي مبين، وتفصيل وفرض منه سبحانه وتنزيل، بعث بهما كليهما رسولاً واحداً، ملكاً عند الله مقرباً، أميناً مؤتمناً، فأدى إلى الرسول ما به أرسل، وتلا عليه من ذلك ما أمر بتلاوته عليه، فكان ذلك من الله فرضاً مميزاً، وديناً من الله مفترضاً، لم يكن لرسوله فيه اختيار»

مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي (ع) كتاب تفسير معاني السنة

وقال الإمام الهادي عليه السلام: «ذكر تفاصيل من الصلاة والزكاة؛

من ذلك ما قلنا به من قول الله (أَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)، فنزلت هاتان اللفظتان في القرآن موصولتين، وجاءتا فيه مجملتين، فاحتملت الصلاة أن تُصلّى قليلاً وكثيراً، إذ جاء ذلك مجملاً، ثم فسر الله ذلك على لسان جبريل كما نزل على لسانه القرآن الجليل، فجعل الله الظهر أربعاً، والعصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً، والعتمة أربعاً، والصبح اثنتين، فبيّن لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم تفسير ما جاء في كتابه مجملاً من أمره بالصلاة جزماً، ولم يكله إلى أن يتكمه في ذلك تكمهاً، ولا أن يتخبط فيه صلى الله عليه وآله وسلم تخبطاً. وكذلك لما أن قال سبحانه (وَآتُوا الزَّكَاةَ)، احتمل أن تؤخذ من كل دينار ودرهم، وشاة وجمل، ومد ومكوك، ومن الفقير والغني، ومالك ألف شاة ومستغل ألف مد، ومستغل مد وصاحب ألف دينار، وصاحب دينار لأنه سبحانه يقول:(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا)[التوبة: ١٠٣] ولم يفسر فيمَا أنزل من القرآن كم يأخذ من كل إنسان مالك الحقير والقليل، ومالك الكثير والجليل، ثم فسر سبحانه على لسان الملك الذي نزل بالقرآن من عند الواحد الرحمن ما يجب من الأموال، وما يؤخذ من أهلها في كل حال، وما يجب على المالك المؤسر، وفي كم تسقط عن المالك المعسر، وكم هي وكيف هي، حتى سنن أسنان مواشيها، فجعلها سنا سناً في عدد معروف معلوم،

قال الإمام القاسم الرسي عليه السلام في احتج بها المعبود على العباد، وهي: العقل بمعرفة المعبود، وجآءت حجة الكتاب بمعرفة والعقل أصل الحجتين الآخرتين، لأنهم

ـة النبويـة

وكذلك فيما يكال ويوزن من الوزن والكيل المفهوم. المصدر السابق»

و كذلك قال عليه السلام: «وكذلك جميع الفرائض والمواريث، ففسر منها في كتابه ما فسر، وفسر على لسان نبيئه باقي ذلك، وكذلك في جميع أحكام الحلال والحرام. فكل ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنه حلال لا يجوز تحريمه، أو قال إنه حرام لا يجوز تحليله. وكل ما أوقف الأمة عليه، وجعله فرضاً عليها مفروضاً لم يجز لها تعديه، ولم يطلق لها النقصان، ولا الزيادة فيه، فهو من الله سبحانه لا منه صلى الله عليه وآله وسلم، لم يزد رسول الله عليه السلام فيما أمر به، ولم ينقص منه، بل أدى الأمانة والنصيحة فيه صلوات الله وبركاته عليه وعلى آله.» المصدر السابق

وقال الإمام القاسم الرسي عليه السلام: «ومن خالف رسول الله فقد خرج من حيّز رسول الله صلى الله عليه وآله، لقوّل الله تبارك وتعالى :{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} انتهى ذكره في كتابه الرد على الروافض من أهل الغلو»

وقال أيضا: «القرآن المجيد فصل محكم وصراط مستقيم لا خلاف فيه ولا اختلاف وأن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان لها ذكر في القرآن ومعنى.»

وقال كذلك القاسم الرسي عليه السلام: «وأصل الكتاب فهو المحكم الذي لا اختلاف فيه، الذي لا يخرج تأويله مخالفا لتنزيله. وفرعه المتشابه من ذلك فمردود إلى أصله الذي لا اختلاف فيه بين أهل التأويل.

وأصل السنة التي جآءت على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما وقع عليه الإجماع بين أهل القبلة، والفرع ما اختلفوا فيه عن الرسول. فكل ما وقع فيه الإختلاف من أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مردود إلى أصل الكتاب والعقل والإجماع.»

وقال أيضا : «قال العالم: وكيف تعرف دينك ؟

قال الوافد أعرفه بالشريعة التي سنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وصدّقها المحكم من التنزيل، وشهدت لها قرائن العقول. وهي على ثلاثة وجوه قول وعمل واعتقاد، وسبيلها واضح وطالبها رابح، قد بهر دليلها، وشهد لها بالصدق من ذوي العلم عقولها، فقد كفونا مؤنة الطلب بهذا الإحتجاج، وقطعوا عنا علائق الإعوجاج، حتى ما بقي في ذلك شك ولا اختلاج»

قال محمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام: « قلت: إني كتبت إليك أن الفرائض بالإتباع للثقات فما كان منها يرحمك الله منصوصاً في الكتاب مشروحاً فقد اجتزينا به عن النظر في غيره وما كان فيه مجملاً يحتاج إلى تفسير فذلك موجود في السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والإتباع له فرض من الله عزّ وجلّ لقوله: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[الحشر:٧]، مع ما قد برأه الله منه سبحانه في كتابه من التكلف فقال: {إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ} [الأنعام:٥٠].»

وفي الجامع الكافي: قال محمد بن منصور في كتاب الجملة:

«ولا بد لمن تأول القرآن في الأحكام والحلال والحرام من أن يستعمل الآثار واتباع السنن في تأويل القرآن قال الله تعالى: {فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِه } [النساء:٩٢]: ففي أي مكان فسر ذلك من القرآن بلا أثر فيه اتباع سنة أن الدية كذا وكذا في وقت كذا، تؤخذ في كذا من الذهب والورق، والإبل والغنم، وما أشبه ذلك وعلى من هي، وقال عز وجل: {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ}[المائدة:٤٥] فأي مكان قال لك في القرآن في الموضحة كذا وما الموضحة؟ وفي الهاشمة كذا وما الهاشمة؟ وفي المنقلة كذا وما المنقلة؟ وفي الآمة كذا وما الآمة؟ وكذلك الجائفة وغيرها من الجراحات، وقوله سبحانه: {عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ}[البقرة:٢٣٦] وقوله: {يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} [المائدة:٩٥] فانظر رحمك الله ما قدر الموسع والمقتر وما الحكم في ظبي، أو فوق(١) ذلك أو دونه،

وهل يُستخرج حكم الله وسنة رسوله في ذلك إلا بالآثار التي رواها المسلمون بعضهم عن بعض، فمن دفع الآثار في ذلك، وزعم أنه مستغن بالقرآن لقوله عز وجل: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ }[الأنعام:٣٨] فهذا رجل جاهل متهم على الإسلام بعمد أو جهل ليس له أن يتكلم في دين الله، وإنما قوله عز وجل:{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ }[الأنعام:٣٨] يريد الأصول والأمهات مثل: {أَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ }[الحج:٧٨]، {وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ }[آل عمران:٩٧]، وما أشبه ذلك من الفرائض المسميات التي فسرت بالرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن العلماء بعده لا يُدرك تفسيرها وشرحها إلا بالرجوع إلى الآثار».

شبهة:

فان قلت :فقد قال الامام الهادي : كأن لم يسمعوا ..... تتمة صـ ١٢

مجموعه: (ثلاث عبادات من ثلاث حجج، ـــل، والكتاب، والرسول. فجآءت حجة العقل ـــرفة التعبد، وجآء الرسول بمعرفة العبادة. ـــا عرفا به ولم يعرف بهما، فافهم ذلك)

مقتضى قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من الهدى، وطرق الضلالة، وإرشاد إلى تعيين أهل الزيغ السنة والإجماع والقياس الشرعي الص

قوله: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[العنكبوت: ٥١]، فأخبر سبحانه بقوله: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ)، أن فيما نزل من تبيانه ونوره وبرهانه كفاية لهم، في كل ما افترض عليهم، ولو كان ترك شيئاً مما يحتاجون إليه لم ينزله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن وعلى لسان جبريل، لم يقل: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ)، فدل بما شهد به من الكفاية لهم على أنه لم يكل نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم إلى استخراج شيء مما افترض عليهم وعليه، وأنه لم يترك شيئاً من فرائضه،

وقال الامام القاسم الرسي(ع): فعلى كتاب ربكم هداكم الله فاقتصروا

وقوله عليه السلام في وصف القرآن: وفيه وفي رحمة الله به وشفائه، وما جعل فيه لكل ذي حكم من أكفائه، ما يقول سبحانه: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت: ٥١]. فمن لم يكتف بضيائه فلا كُفي،

وقوله عليه السلام: فالويل كل الويل لمن لم يكتف في أموره وأمور غيره بتنزيل رب العالمين، كيف عظم ضلاله وغيه ؟! وضلت أعماله وسعيه، فَيَحْسبُه محسناً وهو مسيء، ورشيداً في أمره وهو غوي كما قال سبحانه لرسوله، صلى الله عليه وعلى أهله {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً} [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤]، أفليس هذا هو الذي ظن والله المستعان ضُرّهُ له نفعاً ؟! وحسب ضلالته هدى، وهدايته إلى الجنة ردى، كما قال سبحانه: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٧]. مديح القرآن الكبير

قلت: قد استدل من زعم أن قول رسول الله ليس بحجة وإن صح ثبوته إلى رسول الله، وأن رسول الله يقول ما فهمه من القرآن، فإن صح فهمه فهو حجة، من حيث أن قوله من القران فهو كسائر المفسرين، استدلوا على ذلك بقوله تعالى (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ) وقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وهم من يسمون أنفسهم بالقرآنيين، واستدل بعض السنة بهاتين الآيتين ونحوهما على أن العقل ليس بحجة، واستدل بهما بعض الإمامية على إبطال القياس الشرعي؛ فقالوا جميعاً: لأن القران كاف وفيه كل شيء.

وأقول: مقتضى قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) يدل على أنه لا بد فيه من دلالة على طرق الهدى، وطرق الضلالة، وإرشاد إلى تعيين أهل الزيغ من هذه الأمة أو من غيرها، ومن طرق الهدى السنة والإجماع والقياس الشرعي الصحيح وغير ذلك مما ثبت بالدليل القاطع، قال السيد بدر الدين رحمه الله بعد كلام طويل في تفسير قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) : «هذا والسنة هي الدليل الثاني، وقول أمير المؤمنين علي عليه السلام وإجماع آل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وبيان علة الحكم في احد الأدلة وإجماع الأمة كل ذلك من دلائل الدين عندنا وبالله التوفيق»

وأما قول الهادي والقاسم عليهما السلام فهم لا يريدون أن ما صح من قول رسول الله سنداً ولم يخالف مدلول القرآن، أنه ليس بحجة، ولا يريدون أنه مُستغنىً عن سنته، لأنهم يقولون إن في القران ما يحتاج إلى تفصيل، وإن السنة فصلته، وأن قول رسول الله ليس من عنده بل كلاهما مما نزل به جبريل عليه السلام عن الله أحدهما بالكتاب والثاني بأمر جبريل عن الله، كالصلاة والزكاة والحدود والديات؛ ألا ترى كيف قال الإمام الهادي (ع): «ولو كان ترك شيئاً مما يحتاجون إليه لم ينزله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن وعلى لسان جبريل» انتهى، فقد ذكر القرآن، ثم قال وعلى لسان جبريل، وأعاد حرف الجر للدلالة على اختلاف الإنزال، فهو عليه السلام ذكر القران والسنة لأنهما منزلان على رسول الله؛ إذ السنة ليست ما جاء به جبريل عن الله وتكون فرضاً أو غير ذلك، وليس المراد بها التعريف الاصطلاحي؛ إذ لا يجوز تطبيقها على أدلة الشارع، ويزيدك وضوحا ما ذكرته لك من كلام الهادي (ع) في تعريفه للسنة وممن هي، في كتابه المجموعة الفاخرة، بعنوان كتاب تفسير معاني السنة وكذا قوله عليه السلام في كتابه الأحكام : «أمر تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله بالأخذ للصدقة من أموالهم فقال (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم والله سميع عليم) فأوجب الله بذلك على النبي صلى الله عليه وآله أخذها وعلى المؤمنين إخراجها ودفعها ثم قال: (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) فوجب على الأمة بذلك قبول ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله به، وفعل ما أمرهم بفعله، ثم فسر صلى الله عليه وآله عن الله تبارك وتعالى ما أوجب على الأمة في الزكاة من فرضها، وبين في كم يؤخذ، ومتى يؤخذ، ومن كم يؤخذ، وعفى عن القليل إلا أن يبلغ الحد الذي حده صلى الله عليه وآله وسلم وجعله، وعفى عن الأوقاص وهي ما بين الفريضتين إلى مبلغ العددين من الحيوان.»

وقال في الأحكام : «ومن أعظم الحجج في ايجاب الرجم أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجم وأمر بالرجم وهو القدوة عليه السلام والأسوة، وقد قال الله عزوجل: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وقال: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وقال سبحانه: (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب). فإن عارض معارض معاند أو سأل سائل متعنت أو مسترشد فقال: إنا لا نجد الرجم في كتاب الله مذكورا موجبا على الزاني وإنما نجد على الزاني في الحكم مائة جلدة فأوجدونا لما أوجبتم من الرجم حجة، قيل له: يا سبحان الله وهل ترك الله شيئا لم يجعل له أصلا في الكتاب، وأصل الرجم فموجود في القرآن

شـــــيء] يدل على أنه لا بد فيه من دلالة على طرق من هـــذه الأمـــة أو من غيرها، ومن طرق الهدى ـــحيح وغير ذلك مما ثبت بالدليل القاطع

عند ذوي الألباب وبه اقتدى رسول رب الأرباب مع أمر جبريل له بذلك عن الله، ولولا أن ذلك أمر أمره الله به على لسان جبريل كما أمره بغير ذلك من الفروع التي أصل أصولها في الكتاب، وفرع فروعها وبين فروضها على لسان جبريل عليه السلام، ومن ذلك الصلاة وعدد مفروض ركعاتها، ومن ذلك الزكاة وشرح ما أراد الله من أخذها، وما جعل في أقل الاموال وأكثرها، فأصل أصل الامر بالصلاة والزكاة فقال سبحانه: (وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة) فلم يعلم المؤمنون ما يجب عليهم في أموالهم ولا متى تجب الزكاة على ما في أيديهم حتى ميزه الله وفرع من بعد التأصيل لذكره وفرضه في الكتاب وبينه لنبيه صلى الله عليه وعلى أهل بيته على لسان جبريل عليه السلام فأمر به جبريل الرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فافترضه الرسول عليه السلام على الأمة كما أمر الله بذلك فجعل الظهر أربعا، وجعل العصر أربعا وجعل المغرب ثلاثا وجعل العتمة أربعا، والصبح ركعتين، ولـم يأت عدد ذلك ولا تفصيله في الكتاب. وكذلك الزكاة أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يجعل في مائتي درهم من الفضة خمسة دراهم، وفي عشرين مثقالا من الذهب نصف مـثـقـال، وفـي خمس من الابل شاة، وفي ثلاثين من البقر تبيعا أو تبيعة، وفي أربعين من الغنم شاة، وفيما أخرجت الارض مما يسقى منها سيحا العشر، وفيما يسقى بالدوالي والسواني نصف العشر إذا بلغ كيل ذلك خمسة أوسق والوسق فهو ستون صاعا بصاع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وعفا تبارك وتعالى عما دون الخمسة الاوسق وكل ذلك فلم يأت شرح شئ منه في الكتاب وإنما جاء به الرسول الامين عن الواحد الحق المبين، ولولا ما فرعه وذكره وشرحه وفسره على لسان الرسول لكان يحتمل أن يؤخذ من الشاة والبعير والبقرة الواحدة والدينار والدرهم والمكوك الواحد. وكذلك في الصلاة لولا ما فسره الله على لسان نبيه من أمرها وأوقفه عليه من حدودها وعدد ركعاتها وقيم فروضها لكان من صلى ركعة أو ركعتين مؤديا، وكذلك من صلى مائة ركعة، ولما وقف الناس على حدود الصلاة ولا حدود الزكاة، وكذلك فعل الله في الرجم كما فعل في الصلاة والزكاة فذكر فعله بمن زنى في الادبار من قوم لوط وما فعل بهم على زنائهم من الرجم لهم. وما فعله سبحانه فقد حكم به ولن نفعل غير ما به حكم ولن نحكم بغير ما يفعل، وما فعله فقد ثبت أنه حكم به، وما حكم به فلا معقب لحكمه»

وقال أيضا في الأحكام : «وحرم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكل لحوم كل ذي ناب من السباع، أو مخلب من الطير فينبغي للمسلمين أن يتركوا كل ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن الله عزوجل يقول: (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب).

وقال الإمـام القاسم الرسي عليه السلام في مجموعه: « ثلاث عبادات من ثلاث حجج، احتج بها المعبود على العباد، وهي: العقل، والكتاب، والرسول. فجآءت حجة العقل بمعرفة المعبود، وجآءت حجة الكتاب بمعرفة التعبد، وجآء الرسول بمعرفة العبادة. والعقل أصل الحجتين الآخرتين، لأنهما عرفا به ولم يعرف بهما، فافهم ذلك.

ثم الإجماع من بعد ذلك حجة رابعة مشتملة على جميع الحجج الثلاث، وعائدة إليها.» انتهى

وقال أيضا : «وأصل السنة التي جآءت على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ما وقع عليه الإجماع بين أهل القبلة، والفرع ما اختلفوا فيه عن الرسول. فكل ما وقع فيه الإختلاف من أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مردود إلى أصل الكتاب والعقل والإجماع.» انتهى

فداك أبي وأمي وروحي

بانتظار حضور محمد

عبدالله حسن الحمران

كان حاضرا في كل محطات الحياة الصعبة، ولم يكن حضوره هامشيا أو ثانويا بل كان ضرورة ملحة ومحددة لمسار المستقبل المنظور والبعيد.

وإذا كانت الحياة في مرحلة ما تحيد عن المسار الطبيعي للناموس الإلهي. بما يحتم ظهور مخلص يصطفيه الخالق سبحانه؛ للإنبراء لإعادة الحياة إلى مسارها الطبيعي، بتزكية النفوس والحث على الفضائل والقيم في مساحة جغرافية محددة، فإن ذلك الحاضر كان يشكل هدفا خفيا وموازيا لتلك الجهود، ومرجعية أزلية لاستمرارية انتقال النور عبر الأجيال والدهور، بغية إيصال الحياة لهدفها الأعظم بقيادة مثلى توجه دفتها نحو الغاية الأسمى.

وهاهو أبونا آدم (ع) في مستهل التاريخ البشري، يجد نفسه وزوجه في حرج عظيم، وموقف مخجل أمام الخالق سبحانه حين أكلا من الشجرة، وكان لابدلهما من أجل استصدار عفو إلهي من وسيط يزلفهما إلى ذي العرش المجيد؛ علهما يحظيا بفرصة أخرى وأخيرة لا ستئناف العبادة فتذكر آدم (ع) أنه رأى شيئا:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد أن تغفر لي، فقال الله عز وجل: ياآدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: لأنك يارب لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله عزوجل: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك).

رواه البيهقي في دلائل النبوة والحاكم في مستدركه وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير ووصفه السبكي بأنه جيد.

إذن هو أحب الخلق إلى الخالق، ولأجله خلق الله آدم أي أنه علة فلسفة الكون والحياة.

وحين كان الجنس البشري تحت رحمة الأمواج المتلاطمة، حين استحالت الأرض محيطا واحدا من المياه لتطهيرها من الفجار، كان ذلك الحاضر وسيلة راكبي السفينة وربانها؛ لاستنزال رحمة الله وحفظه للسفينة حتى رست على الجودي؛ لتستأنف الحياة رحلتها من جديد.

وهاهو أبو الانبياء خليل الله إبراهيم (ع) وولده الذبيح إسماعيل صادق الوعد (ع)، يستعينان بالله متوسلين بهذا النور لوضع اللبنات الأساسية لإرساء دعائم مجتمع إسلامي تهوي إليه القلوب من كل فج عميق، وتبحر قيمه ومثله في الزمن حتى يتسلم موسى (ع) الدور المناط به وبأنظاره؛ ليشكل استمرارية للإعداد لذلك النور الذي تتهيأ الحياة لاحتضانه.

ويستمر داوود (ع) ومن بعده ولده سليمان (ع) على نفس الوتيرة؛ لتبدا تجليات هذا النور بالتبلور أكثر وأكثر؛ وتأخذ الحياة أهبتها أكثر؛ لاستقبال النور الذي من أجله تكونت الحياة.

ويتسلم آل عمران دفة إعمار القلوب في جو مفعم بفظائع بني إسرائيل؛ لتأخذ الحياة منحى يقتضي التسريع بانبلاج النور وانتقاله من عالم الأطياف إلى عالم الحس، فيصرح المسيح (ع) باسمه في سياق تبشيره به لمستقبل الإنسانية المثقل بالجراح والمآسي.

وكما أن عالم الأطياف يرقب ولادة النور الأشمل، الذي سيكتسح السموات والأرضين فإن هناك على الأرض نفوسا توزعت الأقاصي ناظرة إلى الأفق اللامتناهي؛ علها تحظى بشرف إدراك هذا النور المنتظر منذ حقب استطال أمدها، فترتحل هذه النفوس في شعاب الأرض وسهولها وجبالها ووهادها بحثا عن تلك البقعة التي ستتشرف باحتضان ملهم البشرية، وموقد جذوة هدايتها التي لن تخبو من بعده، ترتحل تلك النفوس أملا أن يكون ذلك النور امتدادا لها، إن لم تسعدها الأيام بمعاصرته، وهل من ملامة على أولئك المرتحلين بحثا عن النور الخاتم أن جابوا الأرض طولا وعرضا وإن كانت الأرض نفسها تزدهي وتزدان استعدادا لهذا الذي كان بشارة على لسان كل نبي ووسيلة دعاء كل رسول وأمنية كل ولي من أوليا الله؟

إنه دعوة إبراهيم ونبوءة موسى وترنيمة داوود وبشارة عيسى وكل النماذج النبوية التي تعاقبت على التاريخ البشري كانت تلهج باسمه وتعد الأرض والإنسان لاستقباله وتصرح بالفخر والاعتزاز بالائتمام به والانضواء تحت قيادته، فلا غرو إن تلهفت القلوب لإدراك بركاته، وإن تمنت العيون الإكتحال بمحيّاه، ولا عجب إن تساءلت الأجيال عن النسل الذي سيحظى بشرف الإنتساب إليه.

إن هذا الانسان النموذج سيكون عبقا منه وعقبا له، فيلازمه المجد والرضا الملكوتي أبد الآبدين.

لقد كان بحق أحجية الرسالات السماوية ولغز الأجيال المتعاقبة ومبعث غبطة وإكبار الأنبياء

WWW.RAFAEAT.COM

والمرسلين، مما حدا ببني إسرائيل لعقد العزم على جعل هذا المرتقب هدفا لاسترداد مجدهم الزائل، وتفضيلهم المضيع، فاعتصروا علومهم ودهائهم ونبوءاتهم في محاولة مستميتة لتحديد موقع ظهوره أملا في جعله من نسلهم، أو أن يكونوا عند الأقل على صلة نسب به، على تخوف لا ينكرونه، وإن أخفو أنهم ليسوا الأوفر حظا بنيل هذا الشرف مع تاريخهم المتخم بالفجائع والتطاول على رسل السماء، تكذيبا وقتلا كانوا منهم أو لم يكونوا منهم، إلا أنه شرف غير قابل لمجرد التفكير بإمكانية إضاعته فهو خاتم رسل السماء ورسالته لن تكون كسابقاتها محدودة بمساحة جغرافية صغيرة، وثلة من البشر، بل هو مشروع قيادة شاملة للثقلين، ليس بعدها رسالة ولا قيادة.

وآل أمر الأرض مرة أخرى إلى واقع قاتم بتقادم الزمن عن مصادر النور، وتمادي الإنسان في تطاوله على خالقه، حتى أضحت حياته بهيمية وطقوسه مكاء وتصدية، بل وصل الحال به حد إتخام قبلة العالمين بثلاثمائة وستين صنما يطوف حولها الجفاة الحفاة عراة، بغية سد الفراغ الروحي، بينما صار الإنسان في شمال الأرض يقضي جل يومه متسائلا إن كانت المرأة إنسانا أم حيوان من فرط إسرافه في تسخيرها لمتعته، وإزاء هذا الواقع المظلم تصبح ولادة النور ضرورة لا تقبل التأجيل.

وحل اليوم الموعود الذي إقتضى الإعداد له حقبا زمنية شتى، وأجيالا من الرسل والملائكة تترا، ولم يكن هذا اليوم كأي يوم، والحدث الذي احتضنه لم يكن كأي حدث؛ لأنه لن يتكرر ولن تشهد الحياة له مثيلا.

يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل تزف إلى الأرض ولادة نور أضاء الخافقين فتململت الأرض وتزلزلت تحت أقدام الطغاة في المشرق والمغرب، وشهدت السموات استنفارا ملائكيا لم يعهد له مثيل، وتنحني الجبال إجلالا لأبي قبيس، وتسبح الخلائق بحمد الله وشكره؛ لوصول رحمة الله للعالمين (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

وهناك في ذلك المجتمع البسيط الذي أسس له خليل الله تنشأ رحمة الله للناس بعين الله ورعاية روح القدس بخطى إلهية عالية الدقة، ومراحل نموذجية الترتيب كفيلة بإكمال ملامح الصورة النموذجية التي لطالما رسمتها مخيلات العاملين في الخط الالهي، والمتعطشين للمنهج الأقوم الصورة التي ستتسلم مسئولية قيادة الثقلين إلى نعيم الخلود.

اكتمل بناء الشخصية الخاتمة لاستقبال تعاليم السماء، فإذا بنا أمام نموذج بشري تخر له الجبابر ساجدين، وتعشب الأرض تحت قدميه الطاهرتين، ويتدفق الخيربين راحتيه، ويشار إليه بالبنان بكل فضيلة ومكرمة، وتتفتق الرحمة المثلى وتنساب من ناظريه يحل الخصب والدر أينما حل، فإذا ما ارتحل بكته حتى جذوع الشجر.

صار مجموعة من الفضائل يضمها جسد نموذجي البناء بديع الصنع جعل كل الأنام يتضائلون بحضرته المقدسة، ويضم بين جوانحه قلبا يتأرجح بتناغم إلهي بين الشجاعة المثلى، والصرامة القصوى، وبين الفيض اللامحدود من الرحمة والحرص على الإنسان (هوّن عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة).

وهذا الذي يحتمي خلاصة الأبطال بظله إذا حمي الوطيس، هذا المقدام هو نفسه ذلك الذي لم يرض أن يطبق الله الأخشبين على الذين أدموا قدميه الشريفتين بالحجارة، وألقوا عليه السلى، وبدلا من ذلك يبتهل إلى ربه قائلا: (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون)؛ ليجسد الرحمة وتكامل الخلق في صورة لا نظير لها، وبنفسية تتسامى فوق جراح فراق الوطن، (والله إنك لأحب البلاد إلى قلبي، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت)؛ لتحدق بالهدف الأسمى؛ والغاية العظمى، والهم الأجل هداية الناس وزحزحتهم عن النار.

إنه محمد جليس روح القدس في مدارسة ومراجعة النور القرآني، وإمام الأنبياء في رحلة الإسراء والمعراج الذي تيم القلوب، وأنطق الحيوان، وأنّ الجذع لفراقه، وامتثلت صنوف الخلائق حيّها وميّتها لتوجيهاته المقدسة الشريفة.

إنسان بحضرته تتحد القلوب، وتحجم القرائح كليلة، وتذوب الأيدي وليجات في بوتقة الإيمان المتهجد في محراب تكامله؛ لتصبح خلاصة إسلامية كاشفة السر الخفي وراء حضور هذا الإنسان في كل محطات الحياة منذ استهلال الخليقة وحتى يومنا هذا، وأن محمدا وحده كان وسيظل محور وعلة فلسفة الكون والحياة، فلا عجب إن كان حضوره قديما.

صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين في الأولين والآخرين ومن يومنا هذا إلى يوم الدين.

وما أرسلناك إلا رحـ

حمود عبدالله الأهنومي

ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عالم جاهلي أوغل في المادية، وتجرّد عن الروح والفطرة، وابتعد عن القيم التي تتصل بهما، كان يعيش حياة القسوة والغفلة، كانوا قساة إلى الحد الذي دفنوا فيه أولادهم أحياء، وكانوا ماديين إلى الغاية التي فيها إزهاق الأرواح البريئة من أجل متاع تافه، وركبتهم السخافة إلى المدى الذي كانت تثور فيه حرب طويلة الأمد كبيرة الخسائر في الأرواح والممتلكات لسبب يثير الضحك سخافة، لقد تكثّفت المادية في تعاملاتهم بصورة قاسية، فتبلّدت عقولهم عن الإيمان بالله، فعبدوا آلهة مادية محسوسة وهي الأوثان من دون الله، وظهروا على أخلاق شريرة مع الاحتفاظ ببقية من مكارم الأخلاق تميزوا بها عن من سواهم، لقد صوّرهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه على بلاط النجاشي ملك الحبشة يوم فر المسلمون الأوائل بدينهم إليه فقال: «أيها الملك كنا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف».

إنه الجهل بكل علم يقرّب إلى الله، الجهل بالرحمة، والجهل بالمعاد، والجهل بالخير، الجهل الذي يبدو أن (الجاهلية) اشتُقّت منه كان وراء هذه الفوضى الحياتية التي مرّت على عالم ذلك الزمان، لقد كان الجهل السبب الرئيس وراء ضلالهم فحضرت المادية في حياتهم؛ لهذا اتخذوا إلهاً ماديا، وأكل القوي منهم الضعيف، وشنوا الحروب على بعضهم بغية المال، ولم يكن هذا الأمر مقصوراً على العرب، فقد كان العالم جميعه يتيه في ضلال كبير، فقد كانت مصر ترزح تحت حكم الرومان، الذين حولوها إلى مزرعة خاصة لجباية الأموال، وأبحر أهلها في خضم صراع ديني مسيحي مسيحي حول طبيعة السيدّ المسيح، وأخذ شكل مناظرات عنيفة، ورزحت تحت استغلال اقتصادي بشع، وكانت المسيحية بتحريف(بولس) لها عن مبادئها الأولى قد خرجت عن روحانيتها، ليُدْخل عليها تأثيراً وثنياً انحرف بمسيرتها، وظلت(أوروبا) تتسكع في ظلام الجهل والحروب، وأصبحت حضاراتها (اليونانية والرومانية) أشبه بجثة متعفنة، واتصف اليهود كعادتهم بالخنوع عند الضعف والبطش عند القوة، واشتهروا بسوء السيرة عند الغلبة، والقسوة العارمة، وأكل أموال الناس بالباطل، ولما غزا الفرس الشام كان اليهود أشد الناس إلباً وقتلاً لجيرانهم النصارى، ولما دالت دولة الروم المسيحية نكّل بهم هرقل، وأوقع بهم شنعاء النقمة، وفي إيران سادت المجوسية وظهرت حركات هدّامة للبشرية، مثل حركة (المانوية) و(المزدكية)، وقُدّس الأكاسرة، وكان المجتمع الإيراني مجتمعاً قائماً على الطبقية المبنية على النسب والحرفة، وكانت شعوب وسط آسيا لا تزال تعيش مرحلة الإنتقال من البداوة إلى التحضر، ولم يكن لديهم شيء ذو بال يذكر، وعجّت الهند بكثرة المعبودات، وغرقت في الفوضى الجنسية الجامحة، وحلّ التظالم الشديد بسبب التفاوت الطبقي؛ فقد كانت طبقة (شودر) مثلاً وتقع في أسفل الهرم الطبقي منبوذةً بنص القانون المدني الهندي حينذاك، وكانوا بحكم القانون أيضا أحطّ من البهائم، وأذل من الكلاب، وكان الصينيون يسمون ملكهم (ابن السماء)، وقدّس الرومان الشعب والوطن الرومانيين، وفي سبيل ذلك غمطوا الشعوب الأخرى، وانتهبوها حقوقها، واستحلّوا كل شنيعة بحقهم، ولم تكن هناك أمة صالحة المزاج معتدلة الآراء، ولم يكن على وجه الأرض مجتمع قائم على أساس الأخلاق والرحمة والفضيلة والعلم.

ويبدو واضحا غياب فضيلة الرحمة عن هذا العالم، فتوحّش أبناؤه، وافتقدوا الأيدي الحانية، والقلوب الرحيمة، وعندئذ أظلمت الأرض، وتنكّرت الآفاق، ولأن الله رحيم بعباده لم يترك عباده يعيشون حياة القسوة المادية العارمة، إنه عز وجل المتصف بصفة الرحمة، التي هي لغة: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم؛ ولأن الرقة عرض لا يجوز حلوله في الله عز وجل، فقد استعملت مجازاً مشهوراً في الإحسان المجرد، تفضّل الله به على عبيده في الأرض، ويشرح القرآن الكريم في آيات كثيرة أبعاد رحمة الله وتجلياتها، ومن المعاني الخاصة التي وردت للرحمة في القرآن الكريم النجاة من الغرق، والأمن من الإختلاف، والإنتصار على النفس الأمارة بالسوء، والوقاية من السيئات، وصرف العذاب، ودخول الجنة، وتصريف النعم، ووردت الرحمة أيضاً بمعنى النبوة، والنعم، وبلوغ الإنسان أشده، واستخراج الكنز، وهبة الله الأولاد، والمحبة القلبية الناشئة بين الزوجين، والغيث، والنجاة من الأعداء، وخلق الليل للسكنى، والنهار لابتغاء الفضل، ورفع البلاء، وغير ذلك.

إن (الرحمة) مصطلح واسع لمجالات الإحسان الواسعة لكل شيء، من الله المتفضل على عبيده، يقول تعالى: «ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة»، ومن أسمائه الحسنى (الرحمن) و(الرحيم)، وقد تجلّت رحمانيته في أعظم مظاهرها حين أرسل عز وجل عبده ونبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين،

ـــمة للعـــالمين

إن رسالة الإسلام رسالة رحمة للبشرية التي غرقت في أهوائها، وتاهت في شهواتها، وهي مظهر من مظاهر رحمة الله عز وجل بعبيده، يقول الله تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

إن هذه الآية الكريمة بصيغتها الحصرية التي يخاطب فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وردت بذات الصيغة في مواضع قليلة في القرآن حيث يقول تعالى:(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (سبأ ٨٢)، ويقول: (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) (الفرقان ٥٦، والإسراء ١٠٥) وكذلك قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين)، ولا يبعد أن جعلت من هذ الصيغة التي مرسَلية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم محصورة على كونه رحمة للعالمين ، وفي هذه الآية لسا بقتين علاقة بالآيتين من حيث دلالتها على عالمية الإسلام وكونه رحمة لكل العالمين، وفيها إشارة إلى وظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين، لدى هؤلاء العالمين، وفي البشارة والإنذار تكمن الرحمة التي أرادها الله عز وجل، وتقديم البشارة على الإنذار في الآيات دليل آخر على كون الرسالة رحمة للعالمين.

هذه الآية (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين) فاقت أجمع بيت قالته العرب، وهو «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»، قالوا: إن الشاعر وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل، فجمع فيه ستة معان لا غير، لكن الآية الكريمة تشتمل على أربعة وعشرين حرفا بدون حرف العطف، وقد ذكر فيها الرسول والمرسِل والمرسَل إليهم والرسالة وأوصاف كل مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسَل إليهم، وخصوصية الحصر، وتنكير (رحمة) للتعظيم، وليس للإفراد لظهور أن المراد جنس الرحمة، وليس نوعا منها، وتنكير الجنس هو الذي يعرض له قصد إرادة التعظيم؛ فهذه اثنا عشر معنى.

وانتصاب (رحمة) في الآية إما على المفعولية لأجله، ويكون القصر فيها هو قصر الرسول المسند إليه الرسالة على سببية الرحمة لجميع العالمين، ونفي أي سبب آخر، وهو معنى عظيم يشير إلى أن الرحمة للعالمين هي الباعث على إرسال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأكرم بدين ما جاء إلا تلبية لداعي الرحمة للعالمين، وإما على الحالية من ضمير المخاطب في (أرسلناك)، وحينئذ يكون من قصر المخاطب مسندا إليه الرسالة على صفة الرحموتية، وهو من قصر الموصوف على الصفة كالأول، وفيه إيماء لطيف حيث يفيد أن الرسول اتحد بالرحمة وانحصر فيها، ومن المعلوم أن (الرسولية) ملازمة له في سائر أحواله، فصار وجوده رحمة، وصارت سائر أكوانه رحمة، ووقع الحال (رحمة) مصدراً، وهو جائز عند محققي النحويين، وهو الصحيح إذ أنه جاء مبينا لهيئة صاحبه، وتكلف بعضهم تأويله يفسد المبالغة المستفادة من بلاغة استخدامه مصدراً، وهو (الوقوع) يفيد كون (الرحمة) صفة متمكنة من إرساله، وكأنه صار إياها، فكأن إرساله هو الرحمة ذاتها، ويدل على هذا المعنى قول صلى الله عليه وآله وسلم :(إنما أنا رحمة مهداة)، وصار صلى الله عليه وآله وسلم عندئذ رحمة متمحضة خالصة للعالمين.

والتعريف في (للعالمين) لاستغراق كل ما يصدق عليه اسم العالم، والعالم: الصنف من أصناف ذوي العلم، كالجن والإنس، أو هو النوع من أنواع المخلوقات ذات الحياة، فإن أريد بها المعنى الأول فمعنى كون الرسالة المحمدية منحصرة في الرحمة: أنها أوسع الشرائع رحمة بالناس وأعمها، وتتعلق بجميع أحوال المكلفين، وأقيمت على دعائم الرحمة والرفق واليسر، قال تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (بُعِثْتُ بالحنيفية السمحة). وما يقال بأن هذه الرحمة العامة للعالمين قد تستشكل بقتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للكفار في بدر وغيرها، فأي رحمة حصلت لهم، وكذلك ما أُمر به من الغلظة على الكافرين والمنافقين، وفي إقامة الحدود على المعتدين؛ فالجواب: أنه يجب النظر إلى الرحمة باعتبارها رحمة لجميع العالمين، وهذا الاستشكال نشأ من النظر إليها باعتبارها منفردة في شخص الكافر المقتول، أو الفاسق المقام عليه الحد، فليس مقتضى الرحمة للجميع أن يُتْرَك بعض منهم ليفعل ما يحلو له من إيذاء المؤمنين وقتلهم والتسلط على المستضعفين، والسكوت عن مظالم الظالمين، وإن بلغ أثراً كبيراً في اختلال نظام الدنيا والدين، وعليه فإن من مقتضيات الرحمة العامة للجميع أن تحسم المادة التي يأتي منها نقيض الرحمة بتكدير صفو المجتمع، وإفساد أمره، فلا يجوز أن يُرحم مثلا القاتل المصر على ارتكاب المزيد من القتل؛ لأن هذه الرحمة ستؤدي إلى حصول القسوة والظلم على آخرين، الأمر الذي يمنع من وصول الرحمة إليهم، ولو ترك هو وأمثاله وشأنهم لحضرت الجريمة والنقمة، وتضاءلت الرحمة، وكذلك العقوبات فإن عقوبة واحدة لمجرم واحد ستؤدي .....

نقمة

إن الرحمة هي جوهر الرسالة المحمدية، وبها وبها تتحقق وحدة المسلمين لو أدركوا فحوى ربوع العالم لو كانت الرحمة مطيتها

إلى توفير الرحمة لعشرات كانوا سيحرمونها، والمعلوم تاريخياً أن العهود التي يطبّق فيها القانون الجزائي تقل فيها الجرائم، فعقوبة واحدة تؤدي إلى سلامة المجتمع من عشرات الجرائم، وهذا هو مغزى الحدود والتعزيرات والقصاص في الإسلام؛ والمجتمعات التي لا تطبّق فيها العقوبات تكثر فيها الجرائم، وتغيب الرحمة، ويتسلسل الإجرام، ولو طُبّق فيها الحد ولو لمرة واحدة لأمسك كثير من المجرمين عن فعلاتهم المنكرة، وبهذا تكون الرحمة قد تحقّقت في أكمل وجه وبأقل الخسائر.

وإن أريد بـ(العالمين) المعنى الأشمل الذي يشمل المعنى الأول المذكور سابقا والثاني وهو أنواع المخلوقات ذات الحياة؛ فإن الشريعة الإسلامية تتعلق بأحوال الحيوان في معاملة الإنسان وانتفاعه به؛ إذ هو مخلوق لأجل الإنسان، قال تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا)، وقال تعالى: (والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون)، وقد أذنت الشريعة الإسلامية للناس في الانتفاع بما ينتفع به من الحيوانات بعد تحريم العقل للإضرار بها، ولهذا حرم استخدام الحيوان أو الانتفاع به لا على الوجه المشروع، ثم بناء على عقيدة العدل يذكر أصحابنا في أصول الدين أن عدل الله يقتضي أنه لا بد من تعويضها في الآخرة عما يصيبها من الأضرار في الدنيا بسبب الإذن الشرعي الناقل لحكم العقل في إيلامها والانتفاع بها.

ويترجح لديّ أن كلمة (للعالمين) تشتمل على المعنيين جميعا، فرسالته صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعقلاء وغيرهم من الحيوانات، وقد أدّب الإسلام أبناءه على التعامل الحسن معها، وزجر من يخالفها، وتبني الإسلام الرفق بالحيوانات كواجب شرعي يدل على أنه رحمة عامة، وأستأنس بشرح القرآن الكريم لماهية العالمين، حينما تعنّت فرعون قائلاً: (وما رب العالمين، قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، قال لمن حوله ألا تستمعون، قال ربكم ورب آبائكم الأولين، قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون)، فالآيات تبين أن العالمين هي السماوات والأرض وما بينهما، والحاضرين وآباءهم الأولين، والمشرق والمغرب وما بينهما، وخرج ما عدا الحيوان عن مقتضى الرحمة؛ لأن العقل لا يجد علاقة سائغة للرحمة بما عداها، ومن المعلوم أن الإسلام دين نظم كل شيء حتى العلاقة التي يجب أن تسود بين الإنسان وهذه العوالم الأخرى، مراعياً في نفس الوقت إحساسها وحقها.

لقد تجلّت صفة الرحمة - وهي مظهر من مظاهر رحمة الله - في نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، الموصوف بأنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم)، وتقديم المعمول هنا يفيد حصر رؤوفيته ورحيميته بالمؤمنين دون من سواهم، ولكن لا ينفي كونه رائفا أو راحما لسواهم، والمقصود هو حصر مدلولي صيغتي المبالغة (رؤوف رحيم) عليهم، لا مجرد وقوع الرحمة والرأفة، فهذا عام لجميع العالمين؛ كيف لا وقد اتحد النبي الرحمة بها، وكانت رسالته منحصرة فيها، بدليل وقوعها منه لغير المؤمنين، وكاد أن يقضي أسفا حين لم يؤمن قومه، قال تعالى: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)، والبخع هو القتل، وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد تأسف كثيرا على عدم إيمانهم أسفا كاد أن يقضي عليه، وكذلك قوله تعالى: (لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين)، وآية ثالثة تقول: (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون).

نبي الرحمة هذا تمكّنت الرحمة من قلبه، بحيث لم تعرف القساوة طريقا إليه، جاءه الأمر الإلهي ليبين أن الرحمة ليست عاطفة منزوعة الضوابط دائما، فهناك من الحالات الاستثنائية ما يدعو إلى التغليظ والخروج عن الرحمة الظاهرية واستخدام الخشونة، فلا ينفع المريض بالسرطان مثلا رحمة طبيب أعفاه عن إجراء عملية جراحية رحمة به، والرحمة له تتحقق بأن يمسك الطبيب مشرطه ليمزق الجسد المعتل من أجل استئصال مرضه، وكذلك ليس من الرحمة بالعالم ولا بالمسلمين أن تترك أدواء مرض الظلم وعلة الإستبداد والكفر المستكبر والمتعالي أن تستشري في المجتمع؛ ولهذا جاء الأمر من الله الرحمن الرحيم لنبيه الرحمة أن يستخدم الخشونة في وقت ما والتي تفهم ظاهريا على أنها مناقضة للرحمة، ولكن في الواقع ليست إلا جانبا من جوانب الرحمة الباطنة الذي قد يخفى على البعض حكمته وجدواه، فقال تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)، وحين أمره بقتال العرب المجاورين لجزيرة العرب والمتحالفين مع الرومان، فقال عز من قائل: (يا أيها الذين آمنوا جاهدوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة)، وهي الخشونة في الموقف، وفي أمر الله للمسلمين بإظهار الغلظة تلميح إلى ما فعلت بهم الرسالة المحمدية من تأصّل الرحمة في قلوبهم، وكأنها لم تكن يوما من خلائقهم قبل مجيء الإسلام، ويلاحظ أن القرآن الكريم استخدم الغلظة باعتبارها حالة من حالات أشياء هي في الأصل مضافة إلى الله عز وجل، كالميثاق الذي أُخذ على الأنبياء، والنار، وملائكة العذاب، والعذاب الذي يطال العصاة، الأمر الذي يبين أنها حالة من الخشونة الإيجابية لأنها نابعة من قلب مفعم بالرحمة، بخلاف تلك الخشونة القادمة من قلب مسجور بالقسوة، التي ذكرها القرآن في معرض الكراهة ومقترنة بالشياطين، وقبول القلوب القاسية لتأثيرها.

على الرسول الرحمة أن يصف الدواء دواء الإيمان والهدى والرشاد، وعليه أن يحاول إقناع المرضى بالتداوي به، وحين لا يستجيب أحدهم لهذا فإن ذلك لا يخرج الدواء عن دوائيته، وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم الهادي إلى الله والداعي إليه، وهو رحمة للمؤمن وللكافر أيضا من حيث أنه يعرّضهم جميعا إلى الإيمان والثواب الدائم والهدى، وهو خير محض، كما أن تكاليفه صلى الله عليه وآله وسلم كانت أسهل من تكاليف الأنبياء السابقين، وكانت شريعته سببا لإسعاد البشرية جمعاء، وموجبا لصلاح معاشهم ومعادهم، وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم راحما حتى لأعدائه،

ـا تتحقّق سعـادة العالمين لو عقلوا معناها، ـواها، وبهـا يرفرف لواء الإسلام خفاقا على ـم التي تهديهم إلى التعامل السليم

يحب لهم الهدى والنجاة من النار، وبذل لهم الكثير من الأمان، وقبل الجزية من أهل الكتاب وكفل لهم حرية الدين، وسأل الله تعالى أن يدفع عن أمته عذاب الاستئصال، وما كان الله معذب قومه وهو فيهم.

لقد سعدت البشرية يوم حكمت الرحمة هذا العالم، ووصل تأثير الرسالة الرحمة أصقاعه، وكان الخير يحل فيه بالقدر الذي يأخذ من هذه الشريعة الرحمة، فحين يكون الأخذ عاليا من منسوب الرسالة تكون نسبة الخير والسعادة والرحمة عالية في المجتمع، وحين يبتعد الناس عن الرسالة المحمدية يكون بالقدر نفسه البعد عن الرحمة باتجاه القسوة والنقمة.

لقد جاء صلى الله عليه وآله وسلم بما فيه صلاح أمر الدنيا والدين، وما فيه صلاح الأولى والأخرى، وما فيه التوازن الإيجابي بين الروح والجسد، والغاية والوسيلة، وجعل العلاقة بين عناصر هذا الوجود هي علاقة (الرحمة)، وجاء العالم بأعظم أمر كانوا يفتقدونه فتاهوا في جاهليتهم، إنها الرحمة، ولما حلّت الرحمة أنحاءهم سعدت حياتهم، ورفرف لواء الخير في ربوعهم، ورغم ما مني به الإسلام من انتكاسات بعد رحيل الرسول الرحمة، إلا أن معالم الرحمة ظلت محمولة على أكتاف الصالحين من أهل البيت والصحابة والتابعين، أهل البيت عليهم السلام الذين خلّفهم الرسول الرحمة علما للخير والحق وراءه بنص حديث الثقلين، وكانوا أكثر القادة رحمة بهذه الأمة فكثيرا ما ثاروا وقدّموا أنفسهم فداء وقربانا للرحمة بأمة جدهم صلى الله عليه وآله وسلم، لقد شاركت الرحمة مع عناصر أخرى في تمييز الحضارة الإسلامية عما سواها من الحضارات الأخرى، هذه الحضارة لم تكن نتيجة لوجود حكام أو لعدمهم بقدر ما كانت نتيجة عوامل التحضر الإسلامي الكامنة في المجتمع المسلم، والتي ظلّت تتفاعل مع بعضها لإنتاج الحضارة حتى في ظل وجود حكام لا يلتزمون بمنهج الإسلام.

ويعرض القرآن الكريم القسوة التي تبدو نقيضة للرحمة باعتبارها الخشونة السلبية التي ينظر إليها باعتبارها شراً محضاً لا خير معه، وحين تقسو القلوب تصبح وكراً للشياطين؛ (ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعلمون) (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله)، وهنا يبدو واضحاً أن القلوب القاسية والناقمة لا يمكن أن تكون يد بناء، ولا فكرة خلاقة ومبدعة، بل هي أقرب إلى الهدم والدمار.

وعالمنا اليوم عالم تسوده المادية بشكل فظيع، وتستأثر به القسوة بنحو مرعب، وتظل القيم الإنسانية التي تنادي بها المنظمات الإنسانية غير كافية، وأكثرها غير بريء، وتتحكم فيها الازدواجية، وحقوق الإنسان ينظر إليها الغربيون المدعون للتحضر من زاوية عنصرية، فحقوق الإنسان من غير أناسهم تأتي لديهم في آخر سلم الاهتمامات، ويسبقها بمسافات طويلة المصالح القومية لهم ولشعوبهم، والواقع يثبت أن أكثر مصادر القسوة هي هذه الحضارة المعاصرة التي يشهدها الغرب والتي تفتقد عنصر الرحمة، وتعصف بها رياح القسوة، فكم شُنّت الحروب من قِبَلِهم ضد بعضهم لأهداف مصلحية خاصة، أو لأهداف اتضح أنها مكذوبة واتخذت ذريعة لتدمير الشعوب، غزو العراق أنموذجاً، وطائراتهم تقتل الناس تحت كل حجر ومـدر، وشركات التصنيع الحربي تصنع الرؤساء للضغط على الشعوب الأخرى لاتخاذها أسواقا لإنتاجهم، كما أنها تفتعل الحروب وتصنع الأعـداء الوهميين للعب على عقول المستضعفين الذين هانوا على أنفسهم لكي ينشغلوا ببعضهم وبشراء الأسلحة اللازمة. إنها القسوة إذن في أبشع صورها، وغياب الرحمة التي تفتقد أجلى مظاهرها في نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم وفي دينه القويم.

ولما غابت هذه الرحمة عن المسلمين اليوم غاب عنهم جوهر الإسلام وحقيقة الرسالة المحمدية، وأتساءل أين ذُهب بهم عن هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وصفه الله تعالى بقوله: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)، وقوله تعالى: (محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)، وقوله تعالى: (واخفض جناحك للمؤمنين)، وقوله تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)؟ لمَ تناحروا في ما بينهم، ولمَ اتخذ بعضهم بعضاً عدواً، ونسوا الأعداء الحقيقيين، لماذا يبدون أشداء فيما بينهم، ورحماء بل أذلاء مع أعداء الإنسانية وأعداء النبي الأكرم مظهر الرحمة الإلهية صلى الله عليه وآله وسلم؟!! لقد أضاعوا الرحمة يوم انتقض بهم الإسلام عروة عروة.

إن الرحمة إذن يجب أن تكون الرابطة الجامعة بين المؤمنين، وأن تكون الوسيلة النافعة للمؤمنين وهم يدعون غيرهم إلى دينهم، كما أنه من البيّن وجوب أن يكون حكام المسلمين على درجة كبيرة من هذه الرحمة، التي كان عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأجزم أنه لو حضرتهم تلك الرحمة لما نكّلوا بشعوبهم، ولما استأثروا بأموالهم، ولما عبثوا بمقدراتهم، وبحاضرهم ومستقبلهم، لكنهم لما كانوا متصفين بالجفاء والاستبداد والظلم كانوا أقرب إلى النار التي هي مباءة القساة والجفاة منهم إلى الجنة التي هي رحمة الله التي وعد عباده المؤمنين أن يدخلهم فيها.

إن الرحمة هي جوهر الرسالة المحمدية، وبها تتحقّق سعادة العالمين لو عقلوا معناها، وبها تتحقق وحدة المسلمين لو أدركوا فحواها، وبها يرفرف لواء الإسلام خفاقا على ربوع العالم لو كانت الرحمة مطيتهم التي تهديهم إلى التعامل السليم، ثم أليس الرحمة هي الرابطة الإسلامية الإنسانية الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم قال: (مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

المصادر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وتفسير التحرير والتنوير

الجمال النبوي

أحمد عبد الله الكحلاني

الجمال بشكل عام، ينقسم إلى معنيين؛ قسمٌ يتجسد في الصورة المادية، وهو الجمال الحسي، وقسمٌ آخر يظهر في الجانب المعنوي، أي في حسن الأفعال والأقوال وهو الجمال الحقيقي، لأنّا إذا رأينا إنساناً جميلاً يلبس أحسن الثياب وأغلاها إلا أنه يعذب طفلاً سوف تراه نفوسنا وعقولنا قبيحاً مهما كان جمال صورته الظاهر.

وعلى هذا؛ فالجمال الحقيقي هو جمال المعنى الداخلي «جمال الروح»، وإذا تساءلنا أين جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذين النوعين؟ نستطيع أن نجيب أن الجمالين كان يتصفُ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهما، لكن الجمال المعنوي ألا وهو جمال الروح كان أظهر في شخصيته صلى الله عليه وآله وسلم، لقد كان الجمال الروحي هو السرّ في جاذبيته، فقد كانت أفعاله وحسن أخلاقه تأخذ بمجامع القلوب، وتستلب أصحاب العقول، لقد كان كل من رأى رسول الله وجالسه يشعر أنه يحلق عالياً بروحه، ولعله كان يخيل إلى من رآه أنه يجلس مع الملائكة عليهم السلام، ويسبح في أرجاء الملكوت (حَاشَ لِلّه مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ).

ذلك السر المعنوي، لخصه لنا الله سبحانه، في قوله (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّه لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه إِنَّ اللّه يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كله رحمة، كله ضياءٌ ونورٌ، تستطيع أن تستشعر ذلك النور وذلك النقاء كلّ روحٍ لم تتكدر بظلمات الشيطان ولم تدنسها نجاسات الأفعال؛ فالروح تعرف الروح، كما قال صلوت الله عليه وعلى آله: (الأرواح جنودٌ مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف).

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يحمل أطهر روح في هذا الكون، وأجملها، فلا غرو أن نسمع عن ذلك الحب الشديد الذي كان يبدو على صحابته صلى الله عليه وعلى آله وسلم له، حتى لقد سأل أبو سفيان الصحابي زيد بن الدثنة حين قُدّم زيدٌ ليُقتل : (أتحب أن محمدا مكانك ، يضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ فقال : والله ما أحب أن محمدا في مكانه يصيبه شوكة تؤذيه ، وأني في أهلي) فقال أبو سفيان : (ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا)، ثم قتله نسطاس... معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني.

وكذلك يقول أبو أيوب: (فكنت إذا استقيت الدلو أخاف أن يقع منه قطرة على رسول الله صلى الله عليه وآله وكنت أصعد وأُومي إلى العلو خفيا من حيث لا يعلم ولا يحس بنا ولا نتكلم إلا خفيا، وكان إذا نام صلى الله عليه وآله لا نتحرك، وربما طبخنا في غرفتنا فنجيف الباب على غرفتنا مخافة أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وآله دخان، ولقد سقطت جرة لنا واهريق الماء فقامت أم أبي أيوب إلى قطيفة لم يكن لنا والله غيرها فألقتها على ذلك الماء تستنشف به مخافة أن يسيل على رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك شئ)

إن هذا التعلق الشديد لتكمن وراءه تلك الروح العظيمة التي أحس الجميع منها التحنان والحب الصادق، فلا يملكون إلا أن يبادلوه ويبادلهم ذلك الحب؛ فهذا رسول الله صلى الله على وعلى آله وسلم لما دخل المدينة وبنات الأنصار ينشدن (طلع البدر علينا؛ من ثنيات الوداع) فأخذ رسول الله (ص) يسألهن: أتحببنني، فقلن: نعم، فقال (ص): يعلم الله أني أحبكن.

يقول المغيرة بن شعبة عندما رجع لقريش، بعد أن ذهب لمفاوضة الرسول الأكرم (ص): (يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي جِئْتُ كِسْرَى فِي مُلْكِه وَجِئْتُ قَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيّ فِي مُلْكِهِمَا وَاللَّه مَا رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي أَصْحَابِه وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لَا يُسْلِمُونَهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا).

ومما يدل على رفيع خُلق رسول الله وسمو روحه الجذابة الآسرة، موقفه من صفية بنت حيي بن أحطب عندما وقعت أسيرة في أيدي المسلمين، فقد تزوجها الرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد كان شرفاً عظيماً أن يتزوج المنتصر بابنة المهزوم، إلا أن الغريب كيف وصل حبّ النبي إلى قلب صفية؛ إذ أنها أحبته حباً عظيماً، رغم أنه كان قد قتل أباها وأخاها وزوجها، بل وقبيلتها، فكيف نسيت صفية كل ما فعله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعشيرتها؟.

يقف الناظر حائراً أمام هذا الموقف، فأي عظمة تلك التي كان يحملها رسول الله، حتى استطاع أن يحول قلوب أعدائه، إلى قلوب هائمة بعشقه، لا شك أن ذلك السرّ إنما هو مصداق شهادة رب السموات والأرض (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)؛ فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آلهِ من نبيٍ ما أعظمه.

جمعية السعيدة الإجتماعية الخيرية

جمعية خيرية غير ربحية، تم إنشاؤها بموجب قانون أحكام الجمعيات والمؤسسات الأهلية.

من أهدافها

* تنمية العمل الإنساني، ومد يد المساعدة المادية والمعنوية للفقراء والمحتاجين، وذوي الاحتياجات الخاصة، في النطاق الذي يستطيع نشاط الجمعية الوصول إليه حسب قدراتها وإمكانياتها المتاحة.
* الإهتمام برعاية الأيتام والعمل على تأهيلهم ومتابعة همومهم ومشاكلهم وتقديم الرعاية لهم.
* المساهمة في تقديم المساعدات للنازحين والمتضررين جراء الكوارث الطبيعية والحروب.
* الإسهام في الحد من الأمية ونشر العلم بين أبناء المجتمع ذكوراً وإناثاً، ورعاية طالبيه.

للتعاون والمساهمة في أنشطة وفعاليات الجمعية

حساب رقم: ٣١١٤٧٤ بنك اليمن الدولي
هاتف: ٠١٣١٧١١٣ - ٧٧٧٢٧٧٢٤٨
alsaeeda2012@gmail.com

جمعية السعيدة
الإجتماعية الخيرية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر ، وأول شافع ومشفع ، لواء الحمد بيدي يوم القيامة ، تحتي آدم فمن دونه).